ديوان
الإمام
ابن حزم الظاهري

جمع وتحقيق ودراسة

د. صبحي رشاد عبد الكريم
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار الصحابة للتراث بطنطا

ديوان الإمام ابن حزم الظاهري

جمع وتحقيق ودراسة

د. صبحي رشاد عبد الكريم

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار الصحابة للتراث بطنطا

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

كتاب قد حوى دررا بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيها

الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

ت : ٣٣١٥٨٧ - ص . ب : ٤٧٧

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الناشـــر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تُقاته ولا تَموتُنَّ إلا وأنْتُم مُسلمون ﴾(*) .

﴿ يا أيُّها الناس اتَّقوا ربكم الذى خلقكم من نفسٍ وَاحِدةٍ وخَلَقَ منها زوجها ، وبَثَّ منهما رِجَالاً كثيراً ونِسَاءً واتَّقوا الله الَّذى تَسَاءلون به والأَرْحَام ، إنَّ الله كَانَ عليكم رَقِيباً ﴾(**) .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقُولوا قولاً سَدِيداً . يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾(***) .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

(*) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(**) سورة النساء : الآية ١ .

(***) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ ، ٧١ .

وصف المخطوطة :

وبعد فبين يديك أخى القارىء وصف لمخطوط (ديوان ابن حزم الأندلسى) الذى يطبع لأول مرة .

فقد وردت مخطوطة الديوان فى فهرس المخطوطات تحت عنوان (ديوان ابن حزم) تحت رقم (١٦٣٠٢) ، وعدد صفحاتها (١٤٣) صفحة ، كل صفحة تحتوى على حوالى (٢٠) سطراً تقريباً ، كل سطر يحتوى على حوالى تسع كلمات . وكُتبت بخطٍ نسخى واضح إلا فى بعض الكلمات القليلة .

وقد ذكر الدكتور الطاهر أحمد مكى فى كتابه (دراسات عن ابن حزم) وكتابه (طوق الحمامة) (ص /٣٥٧) قصة هذا المخطوط .

ومما يؤكد نسبة هذا المخطوط لابن حزم ما نقله الزركلى فى الأعلام (٤/ ٢٥٤) .

وأخيراً نتركك أخى القارىء مع صفحات هذا الديوان لتستمتع بما فيه من درر .

الناشـــر

أبو حذيفة : إبراهيم بن محمد

لا إله إلا الله محمد رسول الله [illegible]

لا إله إلا الله الواحد القهار [illegible]

الله نعم القادر [illegible]

[illegible] القادر [illegible] اللهم صل على محمد وآل محمد

وسلم

[illegible]

ص ١٨ في فصل (الطاهر) بيت زائد [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم (١)
قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم
الاندلسي رضي الله عنه

(١)

١ لك الحمد يا رب والشكر ثم لك الحمد ما باح بالشكر فم
٢ لك الحمد في كل ما كان في فقد حفني منك فضل وتعم
٣ من الماء انشاني نطفة ومن بعد ذلك لحم ودم
٤ واسكنتني جسدا روحه واحسنتها في طباق الرحم
٥ واخرجتني تعدو عالما وبلغتني درجات الفهم
٦ فملكني البصر المستنير وسمع وذوق ونطق وشم
٧ وحس صحيح وتمييز ما حللت بالواحد من الم
٨ وملكني من فنون العلوم مبادي الكلام وخط القلم
٩ وعلمني الحكم في كل ما تطلع النفس في الم
١٠ وجلي لي من السلطان المستقيم الحكم
١١ يبرهان يشرق بليل الظلام ونفي المحال وتبدي الحكم
١٢ ونور فهمي ببيان الشبه والحد بالوصف ما لم ينقسم
١٣ ومن سنة الملك المستقيم ووقفت على حد من المنتظم
١٤ [illegible]
١٥ [illegible]
١٦ [illegible]
١٧ [illegible]

١٨ ليعلم ان الشمس انما مدبرة لحكيم حكم
١٩ ولن ليس يعنا رشدنا ولا لنا الحكم بالالاء الاتم
٢٠ يدبر بازمانها دهرها فينبعث مبدؤها اللهم
٢١ ونشهد ان الذي صاغها هو الواحد الحق باري النسم
٢٢ هو الاول المبتدي خلقنا كما شاء الاشيا عن عدم
٢٣ فلا بدا الزمان وابدى المكان وما فيهما صاغ بلا ولم
٢٤ سواه وفاته وارتقائه ومشرق انوار شمس والظلم
٢٥ نهار تضيء وليل احمر وبحر عميق وطود اشم
٢٦ وركب لا منها كيف شاء ركان يبر وكان انتهى
٢٧ ونبت يقوم على ساقه وآخر لا شاق يعليه
٢٨ بلا فتنتم وطغا ولا ولا مثال له ولا اثم
٢٩ ولا دون شيء سواه له مثال ولا شبه له ربا
٣٠ وقطع العقول كما شاء فيها نعرشنا ذكر ومن
٣١ وركبها في النفوس التي شاء انشاء فيها
٣٢ وكما كان من قبل عقلها [illegible]
٣٣ [illegible]
٣٤ [illegible]
٣٥ [illegible]
٣٦ [illegible]
٣٧ [illegible]

١- لم تنشر ... اورد البيت الاول منها ابن خير في فهرسته
ص٤١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أولا وآخر ، والصلاة والسلام على المبعوث مبشرا ونذيرا سيدنا محمد أفضل الخلق ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بالحق ، وعملوا به وعلموه وآووه ونصروه ، فكانوا للناس أسوة وقدوة ، فى علمهم وعملهم ، فربحوا دنياهم وفازوا بآخرتهم .

وبعد : فهذا هو الوجه الأدبى للفقيه العالم الأندلسى ، أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى .

الذى شاع ذكره ، وطار فى المشرق والمغرب صيته وعلمه ، يتماثل أمامك فى هذا الشعر المحقق والمجموع ، بغية تعريف الدارسين بآثاره الأدبية التى من أجلها قصائده الشعرية ، ومن قديم والناس يعرفون لابن حزم أنه صاحب (طوق الحمامة) وأنه الأثر الأدبى الشعرى له . والآن نضيف إليه تحقيق ديوانه ، ونزيل الخفاء ونكشف الإلباس عما به وما جرى بشأنه .

وحتى تكتمل الصورة ، ويتم العمل ضممنا إلى قصائد الديوان ما تردد من شعر له فى المراجع الأدبية ، والتاريخية ، وسير الرجال ، وكتبه التى ألفها ما عدا (طوق الحمامة) فلم ننقل منه بيتا حيث يمثل جانبا من شعر الرجل ونثره مستقلا بذاته .

آملين أن ينفع الله به والله الهادى إلى سواء السبيل .

دكتـور

صبحى رشاد عبد الكريم

المدرس بكلية اللغة العربية فرع

جامعة الأزهر بالمنوفية

من هو ابن حزم(*) ؟

هو الإمام الحافظ العلامة ، أبو محمد[1] على بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد[2] ، مولى يزيد بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى ، أصل جده من فارس ، أسلم و « خَلَفٌ » المذكور ، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم ، وكانت بلدهم قرطبة[3] فولد ابن حزم هذا بها فى سلخ رمضان سنة ٣٨٤ هـ ، بعد سلام الإمام من صلاة الصبح قبل طلوع الشمس آخر يوم من شهر رمضان ليلة الأربعاء – تعلم القرآن صغيرا واهتم بالعلوم النافعة الشرعية ، وبرز فيها وفاق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد فى قريب من ثمانين ألف ورقة .

وكان أديبا طبيبا شاعرا فصيحا ، له فى الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت وزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصاحبا للشيخ أبى عمر بن عبد البر النمرى ، وكان مناوئا للشيخ أبى الوليد ابن خلف الباجى وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها .

وكان ابن حزم كثير الوقيعة فى العلماء بلسانه وقلمه ، فأورثه ذلك حقدا فى قلوب أهل زمانه ، وما زالوا به حتى بغّضوه إلى ملوكهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته فى قرية له فى شعبان

(*) هذه الترجمة ذكرها ابن كثير ، البداية والنهاية .. جـ ١٢ /٩١ – ٩٢ ، ط ١٩٧٨ م ، دار الفكر – بيروت .

(١) فى بعض المراجع : أبو محمد بن على بن أحمد ... الخ .

(٢) وهذا بدء صلته بالفرس ونسبته إليهم . وهو الذى رجحه د . هيكل .

(٣) ولذلك يلقب بالقرطبى .

سنة ست وخمسين وأربعمائة من الهجرة عن اثنتين وسبعين سنة كما روى الذهبى[1] وفى البداية جاوز التسعين والعجب كل العجب من أنه كان ظاهريا حائرا فى الفروع ، لا يقول بشىء من القياس لا الجلى ولا غيره ، وهذا الذى وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأ كبيراً فى نظره وتصرفه .

وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا فى باب الأصول ، وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنه كان أولا قد تضلع من علم المنطق ، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكنانى القرطبى ، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ، ففسد بذلك حاله فى باب الصفات .

وبعد : فالذى يهمنا أن أسرته كانت تعيش أولا فى إقليم (لَبْلَة) وفى بلدة كانت تسمى « منت ليشم » وأصبحت تسمى اليوم « منتيخار » أو « كاسا منتيخار » ثم انتقلت الأسرة كما هى عادة العمران إلى (قرطبة) بحثا عن حياة أفضل ، وكان ذلك فى زمن سعيد بن حزم جد عالمنا أبى محمد .

ومن المعروف عن أحمد بن سعيد والد ابن حزم ، أنه كان أديبا بارزا ، وعالما صالحا وإداريا حازما ، وكان إلى ذلك كله ذا مهارة عظيمة فى الاتصال بالأوساط السياسية وكسب ثقة الحكام ، وارتقى فى مناصبه حتى صار وزيرا للمنصور بن أبى عامر ، وبذلك كان بيته من البيوت الرفيعة بين بيوت الوزراء والمرموقين .

وهنا ولد[2] ابن حزم ونشأ .

---

(١) شذرات الذهب ٢٩٩/٣ وما بعدها (بيروت) .

(٢) كان مولده بقرطبة فى الجانب الشرقى بربض منية المغيرة ، بقصر أبيه من مدينة المنصور بن أبى عامر (الزاهرة) التى خص بها نفسه ومساعديه فى الحكم ، وجعلها إمارة =

وقد قضى حياته فى قصر أبيه حيث عهد إلى النساء بتربيته وتحفيظه القرآن .

وكانت نشأته نشأة مترفة ناعمة ولكنها مبنية على المحافظة والخلق القويم . وتستطيع أن تحكم على أثر هذه النشأة إذا قرأت كتابه (الطوق) حيث تراه واضحا فى حديثه النثرى ومقطوعاته الشعرية .

لقد أكسبته هذه التربية خبرة بأحوال النساء ، وأسرار نفوسهن ، كما أتاحت له تجارب عاطفية فتحت قلبه الغض على الحب والعشق . كذلك أمدته تلك البيئةُ بكثير من قصص الغرام ، وأطلعته على عديد من أحوال العشق ، ووجهته منذ حداثته إلى البحث فى فلسفة الحب . أما ترف البيئة ونعومتها وأرستقراطيتها ، فقد طبعته على رقة الميزاج ونعومة المشاعر ، وإباء النفس ، كما وجهته التربية المحافظة إلى الأخذ بالسلوك القويم والبعد عن كل ما يشين ، برغم ما كان فى حياته أولا من مخالطة للنساء . وعلى هذا نستطيع أن نقرر ما قاله الدكتور عويس : (لقد كانت هذه الفترة الممتدة من مولده فى رمضان سنة ٣٨٤ هـ وانتقاله من قصر أبيه إلى دورهم القديمة صحبة أبيه فى الجانب الغَربى من قرطبة ببلاط مغيث فى اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدى وذلك فى جماد الآخرة سنة ٣٩٩ هـ وهو نحو خمسة عشر عاما هى التى تشكلت فيها نفسية ابن حزم . فيها استقى كتاب الطوق ، ووصل إلى تصوير المجتمع الأندلسى من داخله ، وكان لها تأثيرها البعيد والعميق فى فكره وتربيته)[٢] وفى شذرات الذهب : وأول سماعه كان سنة ٣٩٩ هـ .

= تجمع بين مظهر قوة السلاح ومظاهر العظمة والجاه . دائرة المعارف الإسلامية : مادة ابن حزم .

(١) ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى /٥٩ ، ط الزهراء ، عبد الحليم عويس .

وعلى الرغم من أن النساء علمنه القرآن والخط وعاش معهم فخدمْنَه وربينه إلا أنه كان سيء الظن بهن يقول :

(وهُنَّ علمنني القرآن ، وروينني كثيرا من الأشعار ، ودربنني فى الخط ، ولم يكن كدى وإعمال ذهنى منذ أول فهمى ، وأنا فى سن الطفولة جدا ، إلا تعرف أسبابهن ، والبحث عن أخبارِهنِ ، وتحصيل ذلك ، وأنا لا أنسى شيئا مما أراه منهن ، وأصل ذلك غِيَرةٌ طُبِعْتُ عليها ، وسوء ظن فى جهتهن فطرت به ، فأشرفت من سيرتهن على غير قليل)(١) وكثرة الجلوس مع النساء لا سيما فى فترة الصغر تطلع المرء على كثير من الخبايا اللائى يستحيين من ذكرها أمام الكبار ، والإنسان منا تظل صورة النساء مقدسة أمامه حتى يطلع على بعض أسرارهن فإذا علم شيئاً مما يشين سقطن من عينه .

لذا قال الدكتور عويس : (ويجب أن نتخيل أن ابن حزم كذلك قد رأى فى هذا التعرف وفى مستهل حياته ما خوفه من المرأة)(١) .

إن الأندلس جنة فى أرض الله والريح العليل والماء العذب السلسبيل ، وحياة القصور على الأنهار وبين الزهور ، ومجالس اللهو والشراب والحب والغزل ، كل ذلك له دور كبير فى صبغ المرء بصبغة الدلال ، ومحبة النساء .

لقد وصف أحد شعراء الأندلس هذا الجو الذى عاشه هؤلاء الشعراء وقد أجاد فى التصوير إذ يقول :

---

(١) الطوق /٧٩ .

(٢) كتابه : منهج ابن حزم ص ٦٣ .

يا أهـل أندلس لله دركـم ماء وظل وأنهار وأشجـار
ما جنة الخلد إلا فى دياركـم ولو تخيرت هذا كنت أختـار
لاتختشوا بعدذا أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار(١)

ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياة ابن حزم ، مرحلة التحصيل العلمى والتردد على مجالس العلماء ، والأخذ عنهم ، فى قرطبة وغيرها ، ولكن تبدأ النكبات السياسية والعائلية توزع فكره ، وتعكر عليه صفو حياته .

(بدأت الرياح تهب عاتية على حياته ، فقد تولى محمد المهدى الخلافة مبتدئا عصر الطوائف النكد ، ثم تولى هشام المؤيد فإنْهالَ على بيت ابن حزم بالنكبات والاعتداء ، والاعتقال ، والتغريب ، والإغرام الفادح) ثم توفى أخوه فى الطاعون الواقع بقرطبة ، ثم توفى والده الوزير أحمد بن سعيد سنة ٤٠٢ هـ ثم ماتت زوجته الأولى التى عفا حبه لها على كل ما قبله وحرم ما كان بعده كما قال ، ثم ترك قرطبة إلى (المرية) حيث أخلد إلى السكينة والهدوء ، يقرأ ويتعلم ، ويُعْتَقَلْ ويُنْفى وخلاصة هذه السنين من عمره (أنها كانت مرحلة تكوين فكرى ونفسى انقسمت قسمين النصف الأول منها ، وفيه تتلمذ ابن حزم على النساء فى قصر أبيه يرفلَ فى ثياب العز والدعة والنعيم ، والنصف الثانى وفيه اتسعت دائرة ثقافته بفعل الأحداث السياسية والنكبات والنفى والاغتراب والجلوس على العلماء .

وقد عرف ابن حزم بكثرة سماعه على كثير من العلماء فى العديد من الأماكن فى قرطبة ، والمرية ، وبلنسية ، وشاطبة .

ومع هذه الحياة المفعمة بالفتن والاضطرابات والأحداث والتقلبات

---

(٣) الأندلس والناصر /على محمد راضى ، ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

خرج ابن حزم على الدنيا بهذه المؤلفات العلمية التى تعلن عن جده وحزمه ، وصبره وتحديه (الطوق - الفصل - المحلى - الجمهرة - الرسائل) .

أنجز هذا العمل وهو يواجه أعتى العواصف والأعاصير هدفا لكل ألوان الحقد والكراهية والتآمر ، حيث اضطهده ملوك الطوائف لميْله إلى الأمويين ، وعمله لهم ، واتهمه رجال الدين بالمروق فلم يضعف وبقى جادا فى كلمته ، عنيفا فى مناظرته ، إذ عاين الرجل من ألوان الظلم كما يقول الدكتور الطاهر مكى :

(ما أنضب فى أعماله معين الرقة واللين ، وشاهد من مساءات السياسة ما نفره منها ، وأوذى فى نفسه وكرامته ، فاعتزل الدنيا محاصرا ووحيدا فى قريته ، يواصل رسالته بنفس القوة التى بدأ بها حياته شابا واعدا ومناضلا عنيدا)[1] .

لقد نضجت شخصيته ، وعملت الأحداث فيه عملها ، فصقلت مواهبه ، وزادته اعتدادا بنفسه .

أورثه كل ذلك حِدَّة ، وقوة عارضة ، وتعاليا أدى به إلى تسفيه آراء غيره ، والوقيعة فى العلماء ، والتمرد على الأعراف السائدة بينهم ، وأصيب الرجل كما يقول عن نفسه :

(بعلة شديدة ولدت علَىّ رَبْوًا فى الطحال شديدا فولد ذلك على من الضجر ، وضيق الخلق ، وقلة الصبر والنزق ، أمرا حاسبت نفسى فيه إذ أنكرت تبدل خلقى ، واشتد عجبى من مفارقتى لطبعى وصح عندى أن الطحال موضع الفرح إذا فسد تولد ضده) .

---

(١) دراسات عن ابن حزم ٩٣/٩٤ ، ط دار المعارف .

وطبيعى أن يبادله العلماء قسوة بقسوة ، وأن يصل الأمر إلى أن يقاطعوه ، ويفسقوه ، ويؤلبوا الأمراء ضده لا سيما وأن الرجل ظل متمسكا بشرعية الخلافة الأموية ، مما أدى به إلى السجن مرات ، فقد قبض عليه فى (المرية) لما اشتهر به من الولاء للأمويين وسجن بها حينا ، ثم نفى فتوجه إلى حصن القصر ، ولما علم أن أمويا يدعى له فى (بلنسية) وهو عبد الرحمن الرابع الذى لقب بالمرتضى انتقل إليه ليكون فى نصرته ، ولما فشلت حركته اعتقل صاحب غرناطة ابن حزم وسجنه حينا .

وبعد إطلاقه توجه إلى قرطبة سنة ٤٠٩ هـ لما بويع لعبد الرحمن الخامس الملقب بالمستظهر جعل ابن حزم فى مقدمة المقربين عنده ، ولكن المستظهر سقط وقام مقامه المستكفى الذى سجن ابن حزم ولم يطلقه إلا سقوط المستكفى وتقوض خلافته[١] .

وتكاد تكون الفترة الأخيرة من حياة ابن حزم أخلص الفترات لخدمة العلم خصوصا بعد سقوط الخلافة الأموية نهائيا بالأندلس وسيادة عصر الطوائف .

وفيها نشر المذهب الظاهرى ، ودافع عنه ضد المالكيّة[٢] ، ولقد مال حينا إلى المذهب الشافعى ، ثم تحول عنه ، ويعلل العلماء ذلك بأن ابن حزم فقيه متحرر كره من فقهاء عصره تناقضهم ، وكثرة تأويلهم ، ثم ما تورط فيه كثير منهم من ارتكابهم لسيء الأخلاق ، وقبيح الفعال ، كل ذلك دفعه إلى الأخذ بظواهر النصُوص ، لأنها شيء لا يمكن التلاعب به ولا التأويل فيه .

---

(١) الأدب الأندلسى : د . أحمد هيكل بتصرف .

(٢) أى ضد علماء المذهب المالكى المنسوب إلى الإمام مالك بن أنس صاحب (الموطأ) رحمه الله .

وظل ابن حزم فى نشر مذهبه بجزيرة (ميورقة) يناظر الفقهاء وعلى رأسهم أبو الوليد الباجى الذى عرف له ابن حزم منزلته وعلمه ، ومع ذلك لم يهادنْه ، ثم بعد ذلك توجه إلى أشبيليه حيث المعتضد بن عباد ولم يصبر على البقاء بها ، فلم يجد بعد ذلك أهدأ من بلده وموطن أسرته فى إقليم (ليلة) حيث قضى بقية حياته فى التعليم والتأليف بعيداً عن المكائد التى عجزت عن ملاحقته ، فلاحقت كتبه إذ أحرقها فى إشبيلية المعتمد بن عباد كما سبق .

وقد أمضى ابن حزم فى قريته سنواته الأخيرة التى بعد فيها عن السياسة مما سهل على طالبى علمه الاتصال به والأخذ عنه (يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف حتى كمل فى مصنفاته فى فنون العلم وقر بعير)[1] .

وبعد هذه الحياة المليئة بالمصاعب والمتاعب ، لقى ابن حزم ربه فى ليلة الاثنين ٢٨ من شعبان سنة ٤٥٦ هـ بعد عمر يزيد على السبعين عاما قضاها فى صراع مع الحياة ، ومع الناس وكأنما رحمه الله كان يرثى نفسه حين قال :

كأنك بالزوار لى قد تبادروا ... وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك ... وكم أدمع تذرى وخد مخدَّدِ
عفا الله عنى يوم أرحل ظاعنا ... عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحدِ

---

(١) ابن حزم الأندلسى /٨٢ .

وأترك ما قد كنت مغتبطا بــه وألقى الذى آنست منه بمرصدِ
فَوَارَاحَتِى إن كان زادى مقدما ويا نَصَبى إن كنت لم أتزودِ[1]

* * *

ابن حزم أديبا :

لقد كان لابن حزم شهرته المدوية فى الغرب والشرق ، وكان عالما موسوعيًا إذ تحدث الرجل فى شتى صنوف المعرفة فهو بالفقه أبصر ، وبالتاريخ أعلم وبالفلسفة ذا دراية (كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم أهل الإسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه فى علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار)[2] .

ويقول ابن أبى العماد : (كان إليه الذكاء فى حدة الذهن ، وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والأدب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب) .

وقال الغزالى : (وجدت فى أسماء الله تعالى كتاباً لأبى محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه) . وقال ابن صاعد فى تاريخه : (أخبرنى ابنه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد) ، قاله فى العبر . وقال ابن العريف : (كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين) ا . هـ . ما أورده ابن خلكان .

وتكاد كلمة جل المؤرخين الذين أرخوا له تجتمع على ذلك على أن منهم من تصدى له مع ذلك بالنقد فلقد قال ابن حيان فى (المتين) :

---

(١) معجم الأدباء لياقوت : ١٢ - ٢٥٣ ، ٢٥٤ (ابن حزم : د . عويس /٨٣) .

(٢) الوفيات (١٤/٣) نشر مكتبة النهضة ت : محى الدين عبد الحميد /١٩٤٨ .

(له كتب كثيرة غير أنه لم يخل فيها من غلط وسقط لجراءته فى التسور على الفنون لا سيما المنطق فإنهم زعموا أنه زل هنالك وضل فى تلك المسالك وخالف أرسطاليس واضعه مخالفة من لم يعرف غرضه ولا ارتاض فى كتبه مما دعا ابن حزم أن يرد عليه نقده وعيبه فى نسبه فكان مما قال ابن حزم فى ذلك : سمعت وأطعت لقول الله تعالى : ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾ وأسلمت وانقدت لقول نبيه - عليه السلام -: « صل من قطعك واعف عمن ظلمك » ورضيت بقول الحكماء : كفاك انتصارا ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه)[١] .

وعلى الرغم من شهادة المؤرخين له بالشاعرية إلا أنه قد غلب عليه الفقه حتى صار لا يذكر إلا به إلى الآن .

وقد حظى ابن حزم بجانب من الدراسة الأدبية فى كتب الدراسين يتمثل فى عرض ما كتبه ابن حزم من شعر من أول ذلك وأهمه دراسة د . الطاهر مكى عن كتاب الطوق لابن حزم دراسة مفصلة هى إلى الجانب الفلسفى أميل منها إلى الجانب الأدبى[٢] وهى دراسة جيدة إلا أنها لا تتعدى كتاب طوق الحمامة الذى يعرب عن جانب هام من أدب ابن حزم هو الجانب العاطفى الذى محض الكتاب له ، وشعر ابن حزم فى الطوق يكشف بوضوح عن نفسية ابن حزم ، وأخلاقه ، وحبه ومعاشرته للنساء وتقواه معهن فهو أحسن ما يكشف بوضوح عن ما خفى فى حياة ابن حزم من كلامه نفسه ، لذا فهو لا يترك قارئه حائراً إذا أراد أن يتحدث عنه .

---

(١) المغرب فى حلى المغرب : ط ٣ ، دار المعارف ١/٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ت : د . شوقى ضيف . ترجمة : ابن حزم .

(٢) دراسات عن ابن حزم مع تحليل كتاب الطوق ، ط دار المعارف .

كذلك كتب د . أحمد هيكل فصلا عن ابن حزم ضمن كتابه الأدب الأندلسى أرخ فيه له ولحياته المتقلبة وما تعرض له ولأهم سمات شعره مستشهدا بما فى الطوق وقليل غيره .

وقد وقفت على ما كتبه د . عويس فى كتابه (ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى) وهو كتاب يعد مرآة عن ابن حزم تريك جوانب حياته ممثلة فى جهوده العلمية الممثلة فيما يخدم الجانب التاريخى والحضارى ولفت نظرى أن الباحث أشار إلى أن لابن حزم ديوانا شعريا غير الطوق وأن صديقا له بالسعودية قد هم بتحقيقه إلا أنه لم يفعل ، وفى نفس الوقت عثرت دار الصحابة للتراث على الديوان فقمت على قراءته وسررت بما اشتمل على قصائد ومقطوعات وبدأت تحقيقها وضبطها وشرح ما غمض من مفرداتها وبعد الانتهاء منها قررت العودة إلى ما كتب عن أدب ابن حزم فكان ما وجدته عند د . الطاهر مكى داعيا إلى نظر أعمق فى الديوان مرات حتى استطعت أن استخلص من الديوان المكتوب ما يلى :

١ - الديوان كله ليس لابن حزم ، وأن أغلب مقطوعاته وقصائده لأبى العلاء المعرى .

٢ - ما ورد من شعر لابن حزم كالآتى :

(أ) قصيدة عنوانها فى حدوث العالم ونبوة سيدنا محمد ﷺ تقع فى (٨٠ بيتا) .

(ب) قصيدة فى الرد على التقفور ملك النصارى تقع فى (١٣٧ بيتاً) .

٣- قصيدة فى الرد على عذاله تقع فى (١٣ بيتا)

٤ - قصيدة فى بيان مكانة كتب الحديث (٦ أبيات) .

٥ - قصيدة سينية مليئة بالغريب تقع فى (٤٣ بيتا) .

٦ - قصيدة ملك النصارى التى هجا فيها المسلمين (٦٧ بيتا) .

٧ - قصيدة تحدث فيها عن تشوقه إلى أهله (٣٨ بيتا) .

٨ - قصيدة يمدح فيها صديقه القاضى أبو المطرف ويعاتبه (٥٩ بيتا).

٩ - قصيدة فى الحديث عن النفس عدتها (٢٦ بيتا) .

١٠ - قصيدة فى وصف يوم عدتها (١١ بيتا) .

١١ - قصيدة يتحدث فيها عن لوم الناس له لانشغاله بعلم الحديث وكتبه (٣٢ بيتا) .

١٢ - قصيدة بيت مفرد .

ولما كان الديوان غير ذى ترتيب معين ، ولم يشأ كاتبه إلا الجمع فقط عدلت فى التحقيق بعض الشيء .

ما عدا ذلك مما كتب فى الديوان فكله من شعر أبى العلاء المعرى وقد قمت بمراجعته على ديوان أبى العلاء المحقق بقسميه فوجدته به مع اختلاف يسير كأن يكون ما فى هذا الديوان جزءا من قصيدة ، أو بدأه الكاتب ببيت غير البيت الذى بدىء به فى ديوان أبى العلاء ، أو وضع فى ترتيب غير الترتيب الذى تجده فى ديوان أبى العلاء . ولما كان نشر هذا غير مجد عدلت عنه حيث إنه لأبى العلاء وليس لابن حزم وقد قمت بمراجعة ذلك على ما نشره د . الطاهر فى كتابه وهو القصائد رقم (٤) نشر منها الطاهر أربعة أبيات ، القصيدة رقم (٥) وقد تشكك فيها د . الطاهر فلم يجزم بنسبتها إلى ابن حزم ودعا من يقرأ القصيدة إلى تحرير ذلك ، والحق أن ثمة جانبا يرجح أنها من شعر أبى العلاء ، إذ يوجد بديوانه قصيدة على قافيتها ، ولكن بمراجعتها عليها وجدت أن ثمة اختلافا بين القصيدتين مما

أبعد الشك فى نسبتها إلى ابن حزم . نشر منها الطاهر (٣٥ بيتا) .

كذلك نشر د . الطاهر القصيدة رقم (٧) ورقم (٨) ، (٩) (١٠) (١١) وكان من محاسن الأقدار على أن قرأت فى تلك الآونة بحثا وافانا بها الزميل الفاضل د . إبراهيم راشد بكلية اللغة العربية بالمنصورة هذا البحث عن شعر ابن حزم بقلم محمد الهادى الطرابلسى كتبه بعد عثوره على نفس نسخة المخطوطة وقد حصر فيه ما كتب من شعر لابن حزم حيث جمع د . إحسان عباس فى كتابه (تاريخ الأدب الأندلسى عهد سيادة قرطبة)[١] ويصل ما جمعه إلى (٣١٦) بيتا كما قال كاتب البحث أكثرها مما فى الديوان وقد حقق فى هذا البحث القصائد التالية :

١ – رقم (٧) فى خطاب أبى المطرف (٥٩ بيتا) ثم بيت مفرد وهو :

كأن لم يكن بين ولم يَكُ فرقة　　إذا كان من بعد الفراق تـلاق

ثم قصيدة حديثة عن النفس (٢٦ بيتا) ثم قصيدة وصف يوم (١١ بيتا) ثم القصيدة الأخيرة فى الديوان وهى :

لم أشك صدا ولم أذعر بهجران　　ولا شعرت مدى دهر بسلوان

وعدتها عنده (٣٢ بيتا) فالمجموع أربع قصائد تحتل الصفحات من ١٦٤ حتى ١٧٦ من المجلة المنشور بها البحث وهى مجلة تونسية[٢] ومجموع أبيات القصائد موضح بها ونسبتها إلى أبحرها . والباحث لم يشر

---

(١) نشر بيروت ط ١٩٦٠/١ من ص ٢٩١ – ٣٣٣ .

(٢) حوليات الجامعة التونسية – مجلة للبحث العلمى تصدرها الجامعة التونسية – العدد التاسع سنة ١٩٧٢ .

إلى أن جميع ما حققه قد حققه د . الطاهر مكى فى كتابه المشار إليه سابقا ولا أظن أنه اطلع عليه كما لم أطلع أنا إلى الآن على كتاب د . إحسان عباس وأظن أن فيه من الفوائد الكثير إذ أن الرجل توفر على الكتابة فى الأدب الأندلسى فهو مرجع هام فيه .

وقد أشار الباحث التونسى إلى أن ما فى الطوق من شعر ابن حزم لا صلة له بما فى الديوان والأمر كذلك حقا فقد راجعت الطوق ولم أجد شيئا منه بالديوان ولا العكس وتختلف روح القصيد فى كل منهما عن الآخر ، كذلك بين الباحث أن ما ينشر من شعر مخطوط لابن حزم يساعد فى إثارة الطرق للحكم على شاعريته فقال : (إن القطعة التى نحققها اليوم من شعر ابن حزم تساهم بقسط كبير فى القاء أضواء هامة على حياة الشاعر أولا وعلى شخصيته ثانيا وعلى آثاره خاصة وعلى الشعر العربى بالأندلس إذ ذاك عامة فأكثرها يصور لنا بجلاء عنف الأزمة النفسية التى كان يعانيها الشاعر وهو على عتبة الكهولة من جراء تألب الأعداء عليه وتقدم لنا ألوانا مختلفة من العذاب الذى كان يلقاه الشاعر فى جهاده فى سبيل الله ، وتوضح لنا كذلك بعض مقومات شخصيته ، فترينا الشاعر على جانب كبير من حدة النفس ورقة الشعور وتوضح الإخلاص الذى كان يكنه الشاعر لعقيدته ومذهبه وأصدقائه كذلك)[١] وحتى تظهر هذه الملامح كاملة أضفت إلى شعر ابن حزم فى هذا الديوان ما نسب إليه من شعر آخر فى مصادر التاريخ والأدب والتراجم وأمهات الشعر الأندلسى كنفح الطيب ، والجذوة ، والبغية ، وراجعت ما كتب عنه فى معجم الأدباء ، والوفيات ، والنهاية ، وغيرها حتى عثرت على كم من شعره يساعد فى إلقاء الضوء على شاعرية ابن حزم إذ أن جمعه فى

---

(١) ص ١٦٣ من المجلة المنشور بها البحث .

مرجع واحد يهون على الدارسين مشقة البحث ، ويساعدهم فى إصدار حكم نتيجة استقراء يقرب من الشمول .

ويضيف ما كتبه ابن حزم فى الرد على التقفور ملك النصارى بعدا عظيما فى الحكم على الرجل ومنهجه فى كتابة التاريخ شعرا ومدى علمه بأحوال الأمم وأخبار أهل الديانات .

لقد تمثل فى شعر ابن حزم عدة سمات :

منها : سمات نفسية ، وأخرى ثقافية ، وتاريخية فهو رجل معتد بنفسه ، واثق برأيه ، مدافع عنه ، وهو غزير المعرفة ، واسع الثقافة على علم بالتاريخ وله فيه باع طويل .

ولقد تمثل كل ذلك فى شعره الذى يدخل به مع الأدباء والشعراء من أوسع الأبواب فلم يكن ابن حزم عالما مبرزا فقط ، وإنما كان أديبا شاعرا وناثرا أيضا قادته طبيعته الجريئة أن يتحدث بصراحة حتى فى مواضيع لم يجرؤ غيره من الفقهاء على الحديث فيها .

فعاطفة الحب مثلا يفرد لها كتابا مستقلا هو كتاب (طوق الحمامة) يتحدث فيه عن الحب كعاطفة إنسانية معتمدا فى حديثه هذا على التجربة والملاحظة والتحليل النفسى واستخلاص النتائج .

إن تلك الطبيعة الجريئة جعلته يقول ما يعتقد ، ويعبر عما يحس دون نفاق أو التواء أو خوف من الناقدين فهو أصرح من تكلم فى هذا الجانب . وساعد فى ذلك أيضا تلك النشأة التى أتاحت له أن يتحدث عن الحب هذا الحديث ، فقد نشأ مرفها فى بيت وزارة ، وسط النساء يطلع علهن ويسمع أحاديثهن ، ويعرف منهن ما لا يعرف غيره ، فعاش هذه العاطفة بنفسه وسجلها على غيره .

وهجرة ابن حزم من مكان إلى آخر وتنقله وتعرضه للأذى جعله كثير التحنان ، بصيرا بالأسباب والأغراض ، وكل ذلك جعل حديثه فى الطوق ذا لون وطعم متميز ، فهو حديث محلل يعلل الأحداث ويحددها ويؤكدها بما شاهد من وقائع ، يعدل السلوك ويبذل النصائح فهو لا تتعداه ثقافته الدينية فى كثير مما يكتب ، ولذلك عقد فى هذا الكتاب بابا عن الكلام فى قبح المعصية ، وفضْل التعفف ليكون خاتمة الكلام الحض على طاعة الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(كان ابن حزم لا يكلف بالصنعة ويؤثر البساطة على التكلف والدقة على الحلية تنعكس على أسلوبه ثقافته العقلية والدينية فيورد بعض مصطلحات الفلسفة والمنطق ويهتم بالعلل والمقدمات والنتائج كما يورد بعض المصطلحات الفقهية أو الدينية على وجه العموم)[1] .

وجرأة ابن حزم فى سبيل الله جعلت منه لسانا مدافعا وسيفا مسلولا على أعداء الدين ، والمنافقين ، والمتاجرين به ويمثل ذلك حديثه فى الرد على التقفور ملك النصارى ، وعتابه لصديقه (أبو المطرف) ولابن عمه ، وحديثه عن مذهبه وافتخاره به ، وعلمه وتضلعه فيه :

أنا الشمس فى جو العلوم منيرة ... ولكن عيبى أن مطلعى الغرب

ويقول :

وما عزنى والحمد لله مطلب ... من العلم مما أبقت العرب والعجم

(١) الأدب الأندلسى /٤٠٠ : د . أحمد هيكل . ط دار المعارف /٧ .

بعض السمات البلاغية فى شعر ابن حــزم

لا تظن أنك أمام شاعر فقيه ، بل أنت أمام فقيه أديب ، سهل لفظه ، وحسن وجاد معناه .

لقد خلا شعر ابن حزم من التعقيد الذى يهلك المعنى ، ومن الغرابة التى توحش اللفظ ، ومن الإبهام الذى لا يوصل إلى المراد . والقارىء العادى يستطيع الوصول إلى ما يكتبه ابن حزم ، لا لأنه تافه لا يُعبأ به ، ولكن لصراحة الرجل فى التعبير ووضوح المراد ، وامتلاكه للمعنى الذى يريد الحديث عنه ، ترى ذلك فى طوق الحمامة ، وفى هذا القدر الذى جمعناه له .

ونظرا لأن أغلب الشعر الأندلسى مقطوعات قصيرة تأتى تبعا لمناسبات معينة وقد اتسعت هذه المناسبات حتى تمثل فيها أهم نواحى الحياة ، لذا بعدت هذه المقطوعات عن المعاناة والمعوقات التى تعوق شاعر القصيدة .

كذلك ترى فى هذا الشعر كثيرا من المعانى المشرقية تنقل كما هى أحيانا وقد يجدد فيها الشاعر .

وقد حرصوا على سهولة الألفاظ ووضوحها ، ورشاقة الأساليب وسماحتها حتى فى الأغراض التى تقتضى بطبيعتها القوة والرصانة ، كالهجاء حيث يعتمدون فيه على التهكم والسخرية لا على اللفظ الجارح والكلمة الصاخبة انظر إلى قول ابن حزم لمن سبَّه :

تبغ سواى امرأ يبتـغى ... سبابـك إن هواك السبــاب
فإنى أبيت طــلاب السفــاه ... وصنـــت محلى عما يعــاب
وقل ما بدا لــك من بعــد ذا ... فإن سكــوتى عنه خطــاب

يتمثل فى ذلك الأدب الإسلامى حيث أمر الشرع بالإعراض عن الجاهلين ، والصبر على الأذى :

وإنى وإن آذيتنى وعققتنى ... لمحتمل ما جاءنى منك صابر

وابن حزم قوى الاستدلال ، جيد الاحتجاج والبرهنة على ما يقول ، فهو يتحدث عن الاجتماع والفرقة ثم يأتى بالعلة التى تقوى أمر الاجتماع بالأجساد وهى مزيد الاطمئنان ، واستأنس لذلك بطلب الخليل إبراهيم عليه السلام من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى : ﴿ **قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ .

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى ... فروحى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى ... لذا سأل المعاينة الخليل

وهو يتأثر بجمال الظاهر فإن لامه أحد على ذلك أنشأ يقول :

وذى عذل فيمن سبانى حسنه ... يطيل ملامى فى الوجوه ويقول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت فى اللوم ظالما ... وعندى رد لو أشاء طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى ... على ما بدا حتى يقوم دليل

فهو ظاهرى المذهب لذلك أخذ فى هذا الذى سباه بالظاهر ولم يقبل لوم العذول فيه . وهذا من حسن التعليل حيث أتى الشاعر بعلة مقبولة ومستحسنة تؤكد ما يقول وتبرهن على صحته .

وهو يجانس فى شعره لكن جناسه مقبول ، ويقابل بين معانيه مقابلة غير متكلفة وهذا قليل فى شعره :

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا ... وما يغنى المشوق وقوف ساعة
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع ... إذا ما شتت البين اجتماعه

ويقول :

إن كانت الأبدان بائنة ... فنفوس أهل الظرف تأتلف
يارب مؤتلفين قد جمعت ... قلبهما الأقلام والصحف

وهذا قريب من معنى قوله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فكأنه رضى الله عنه ضمنه هذا البيت . وهو يضع النظير بجانب نظيره فيقول :

لم أشك صدا ولم أذعر بهجران ... ولا شعرت مدى دهرى بسلوان

ففى البيت جمع بين الصد والهجران والسلوان ، والشكوى والذعر والشعور بالحزن ، وكل ذلك فى غير تكلف .

والشاعر وإن كان قليل التصوير إلا أن صوره محكمة ، وتشبيهاته قوية موثقة ؛ انظر إليه عندما يتحدث عن حبيب كان فى حمايته له درعا سابغة ، ترد عنه عاديات الزمن وفواجعه ، لقد كان نورا له عندما تظلم الحياة فى وجهه فلما نأى وبعد وتولى ورحل تبدلت الحال وهذه سنة الحياة :

قد كنت ألقى زمانى منه مدرعا ... على تغول أيامى وأزمانى
درعا يقول الردى من أجلها حذرا ... ما شأنك اليوم يا هذا وما شانى
فالآن أظلمت الدنيا لغيبته ... فالليل عندى وغير الليل سيان
وحق لى ذاك إذ فى كل شارقة ... كانت تلوح لعينى منه شمسان
فالآن أعدمنى أضواهما قدر ... تجرى بأحكامه فينا الجديدان

ولكنه رغم بعده عن عينه يحل قلبه ، فهو غائب حاضر ، بعيد قريب :

قد كان منك فؤادى حاسدا بصرى ... والآن يحسد فيك القلب عينان

فإنك ترى فى هذا الشعر : تغول الأيام ، والحبيب المصادق كالزرع حماية ،

وكالشمس نورا ، حتى إنه لقربه منه كان الفؤاد يحسد البصر تمتعه بالنظر إليه ، ولما تبدلت الحال ، وحل بالقلب ونأى عن العين صارت العين تحسد القلب وكيف لا فهو الدنيا يملكها ملك سليمان لها :

حتى لقد صار دهرى فيك يحسدنى فبان عنى مغلوبا وأنـــآنى
عذرت فيك لعمرى كل ذى حسد من ليس يحسد فى دنيا سليمان

ومحن الشاعر التى تعرض لها كثيرة ، فهذا يوم كحد السيف ، وهذه أمور كأمواج البحار وقد أعد لذلك جلدا وحزما كالجسور ، وآراء كالمصابيح .

ويوم كحد السيف ليس بثابـت عليه جليـد لا ولا متجلـــد
لقيت شبـاه وهو جَمر[1] مؤجج وأقلعت عنه وهو فخر مخلـــد
أمور كأمواج البحـور تصادمت عليهن سربال من الليل أكبـد
عبأت له جسدا من الحـزم محكما ومصبـاح رأى نوره يتوقـــد
فأنقذت[2] غرقاها ونورت ليلها وقربت منها كل ما كان يبعـد

وهو مهتد فى تصوير تلك (الأمور) بتصوير القرآن لأعمال الكفار بأنها ﴿ **كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** ﴾ .

وهو يكرر معنى اعتزازه برأيه وعلمه ، وأنهما الدرع الذى يقيه تقلبات الزمن ويفخر بهذا أيما فخر :

---

(١) خمر ، فى بحث التونسى .
(٢) فأفقدت ، فى البحث نفسه وهو خطأ كسابقه .

لكن إذا أشكلت دنيا معضلة   قابلتها بسنى ذهنى وحسبك لى
من فكرتى لى عين لا تغيض ومن   ماضى لسانى مضى الشهب

فانظر إلى قوله (وحسبك لى) وتشبيه فكره بالعين الفياضة ، وحديث لسانه بأنه ذائع مشتهر ذيوع الشهب وشهرتها ، ورغم أنه كرر فى (ماضى — يمضى مضى) فى شطر واحد ، إلا أنك لا تشعر بثقل ولا تحس بتنافر ذلك أنه غاير بين الكلمات فأكسبها خفة على اللسان وحسن وقع على الآذان .

ولا ينسى دائما أثناء اعتزازه وفخره بنفسه فقره إلى ربه وخوفه من لقائه :

فإن أضفت إلى ذا الحظ من عملى   شيئا أفوز به فى يوم منقلب
فقد حصلت على الآمال أجمعها   وخاب من فى سوى ذا كان ذا تعبى

وأنت واجد بقراءتك لقصيدته التى يخاطب فيها صديقه (أبو المطرف) حديثه عن علمه بالشعر ، والتاريخ ، والفلسفة ، والديانات ، والحديث والفقه ، والكلام ، واللغات ، والعروض ، والبلاغة .

وما عزنى والحمد لله مطلب   من العلم مما أبقت العجم والعرب

لذا يعاتب أبا المطرف فى سماعه عنه قائلا :

أعيذك أن ترتاب أننى الذى   أتى سابقا والكل ينجر أوْ يحبو
ومثلى إذا جد الرجال وأتعبوا   نفوسهم سعيا وكدهم الخطب
تقدم سبقا ثانيا من عنانه   وغادر من جاراه فى ركبه يكبُو

هذا ما أردنا أن نضعه أمام قارىء هذا الشعر الذى جمعناه لابن حزم الفقيه الأديب العالم الذى ساعدته التربية فى الصغر ، وحفظ الشعر الجيد

لمشاهير الشعراء على تهذيب ملكته ، ناهيك عن تربية والده الذى كان أديبا بليغا(1) .

(ويذكر الدارسون أن ابن حزم كان شاعرا قديرا ، ويذكرون أن له ديوانا شعريا كتبه فى صباه ، وأن له أشعارا تضمنتها رسالة طوق الحمامة ، على أن الذى بلغنا من شعر ابن حزم إلى الآن ورد مشتتا فى المصادر هكذا ورد نحو ٧٠٠ بيت من الشعر فى طوق الحمامة ، و١٢ بيتا فى كتاب الأخلاق والسير ، و٤٨ بيتا فى كتب التراجم و٣١٦ بيتا نشرها إحسان عباس فى كتابه (الأدب الأندلسى عهد سيادة قرطبة) فيكون وصلنا فى الجملة إلى حد الآن نحو ١٠٦٧ بيت من الشعر لابن حزم على أن إحسان عباس أشار فى كتابه المذكور إلى أن ما نشره لابن حزم من شعر ليس إلا جزءا من ديوان لابن حزم بالمكتبة التيمورية بالقاهرة وقد ساعدنا الحظ بأن نظفر بصورة من هذا الديوان المنسوب لابن حزم)(2) .

وقد راعيت تمام الفائدة فجمعت ما وجد فى الديوان لابن حزم وتركت ما كان للمعرى . وجمعت ما وجدت له من شعر فى كتب التراجم وكتبه ورسائله ، وصدرت هذا المجموع بما فى الديوان ثم ثنيت بما عثرت عليه من شعر لابن حزم عسى الله أن ينفع بذلك .

---

(1) ذكر الحميدى أنه كان من أهل العلم والأدب والخير وله فى البلاغة يد قوية قال : قال أبو محمد وأنشدنى أبى فى بعض وصاياه لى :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

الصلة لابن بشكوال ٢٥/١ .

(2) ص ١٥٣ بحث : محمد الهادى الطرابلسى .

وصـــف المخطـــوط

النسخة التى صورناها من دار الكتب صورت على نسخة مصورة خطها واضح فى بعض اللوحات غير واضح فى البعض الآخر .

عدد صفحاتها ١٤٢ موزعة على ٧١ لوحة كل لوحة تتضمن صفحتين . على الصفحة الأولى يوجد بالخط الكبير (حمد له وتصليه)(١) وتحتها كتب « ديوان ابن حزم » ثم طابع دار الكتب كتب به هذه العبارة « مطبعة دار الكتب المصرية قسم التصوير ١٩٤٦ » .

والصفحة الثانية بيضاء لا توجد بها كتابة . يلى ذلك اللوحة المصورة الثانية مصدرة بهذه العبارة :

« باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم قال الفقيه ثم تتوالى الأشعار بعد ذلك مبتدئة بقصيدة فى حدوث العالم ونبوة سيدنا محمد » :

لك الحمـد يارب والشكر تم ... لك الحمد ما نطق بالشكر فم

ثم تتوالى صفحات الديوان بها بعض التصحيحات القليلة حتى ينتهى باللوحة رقم (٧٠) التى كتب بآخر الصفحة الثانية لها هذه العبارة « الحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد عبده ورسوله وعلى آله وعترته الطاهرة » ثم بعد ذلك الصفحة الأولى من اللوحة (٧١) وبها خاتم دائرى كتابته

---

(١) نصها : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله هو الحق الحى القيوم لا إله إلا الله ، الواحد القهار نعم الحافظ ، الله نعم القادر ، الله نعم الناصر ، الله مقدرنا فنعم القادرون . اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم » ديوان ابن حزم ، ملك مصطفى . مطبعة دار الكتب المصرية قسم التصوير ، ١٩٤٦ .

« فيض الفاتح القدوس السيد محمد بن السيد على بن السنوسى سنة ١٣١٥ هـ » وبجانبه كتب : تملكه الفقير إلى ربه مصطفى بن تاج الدين ابن إلياس مفتى المدينة المنورة سنة ١٢٥١ هـ . ثم نجد فى الصفحة الثانية طابعا آخر لدار الكتب المصرية يتضمن نفس العبارة السابقة .

وهذا الديوان ليس مرتبا ، وليست قصائده معنونه .

بأعلى صفحة ٢٦ لوحة (١٢) نجد هذه العبارة : « وقال أيضا رضى الله عنه ، هذا من شعر المعرى ليس هو لابن حزم » وكل ما سبق هذه اللوحة هو لابن حزم .

وقد آثرنا كتابة ما وجدناه بالديوان محققة أما ما وجدناه منسوبا للمعرى بديوانه فتركناه . وهذا أول عمل لنا .

ثانيا : فضلنا كتابة القصائد حسب القافية حتى يسهل البحث عنها .

ثالثا : آثرنا كتابة قصيدة التقفور قبل رد ابن حزم علىها حتى يسهل على القارىء قراءة وفهم ما كتبه ابن حزم .

رابعا : راجعنا هذه القصائد على تحقيقات الطاهر مكى ، ومحمد الهادى الطرابلسى وأثبتنا ما انتفعنا به منهما فى مكانه .

خامسا : اتماما للفائدة وحتى يكون هناك قدر كبير من شعر ابن حزم أمام القارىء جمعنا ما استطعنا جمعه من المصادر التى أشرنا إليها .

وبقيت كلمة هى : لم جمع فى هذا المخطوط شعر ابن حزم والمعرى معا ؟

والجواب عن هذا ذكره الطاهر مكى حيث رجح أن يكون جامع الشعر أطلق اسم ابن حزم على ما جمعه قصدا لرواجه ، وأن ذلك كان من عادة الكتاب أيضا لفت الناسخ الأنظار إلى ذلك فى ص ٢٦ .

وذكر محمد الهادى الطرابلسى : (أن الخلط بين شعرى هذين العلمين ربما وقع لهذه الأسباب :

١ - تقارب مجموعة هذه الأشعار فى الغرض وخلوها من الأغراض التقليدية الأخرى المعروفة كالغزل والمدح والهجاء .

٢ - نزعة كل من المعرى وابن حزم - وخاصة فى كهولتهما - إلى طرق مثل هذه الأغراض فقد اتفقا فى النظر إلى الدنيا بنفس المنظار وكلاهما انتهى من تجربة الدنيا صغيرا إلى ضرورة الصد عنها والعمل على مناهضتها وإن هما اختلفا فى طريقة الصد .

٣ - عيشهما فى هذه الفترة وإن كانا فى بيئات مختلفة)[1] .

ثم قال :

ومع ذلك كله فالقارىء لهذا الديوان يمكنه أن يستخلص ما كان منه لابن حزم لأسباب :

١ - أن اسم المعرى ذكره الناسخ مرة كما أشرنا .

٢ - أن روح المعرى غير واضحة فيما نسب لابن حزم .

٣ - أن جل هذه الأشعار التى وجدت للمعرى تدور حول موضوعات ما وراء المادة وهذه الموضوعات كانت مصدر إلهام أبى العلاء .

---

(١) بحثه ص ١٥٦ .

أضف إلى ذلك أننا لم نجد بيتا واحدا من الأبيات التى حققناها لابن حزم فى ديوان أبى العلاء (اللزوميات) الذى وجد به كل ما وجدناه له من شعره . وبذلك يطمئن الخاطر إلى أن ما يقرأ فى هذا المجموع والمحقق هو لابن حزم .

وأنه يوقفنا على كثير مما لا نعلمه عنه طوق الحمامة كسياسته ، وعلمه ، وسجنه ، وصداقته ، وكتابته فى الرد على التقفور ورؤيته للحياة ، وموقفه من الحساد ، وذم من لم يسلك سبيل الحق والإنصاف وهو فى شعره متأثر بأحداث الفتنة تأثرا واضحا حيث عاش فى ظلها ، وانتشر أدب التلهى والنفاق والتفاهة على حين كانت خيرا على أدب التأمل والتذكر والنقد . كما يوقفنا على بعض الجوانب العاطفية فيه أيضا .

هذا ما وجد منسوبا لابن حزم
فى ديوانه المخطوط
وما وجد منسوبا له فى بطون
المراجـــع

جمع وتحقيق ودراسه
د. صبحى رشاد عبد الكريم
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار الصحابة للتراث بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم .

(١)

قال الفقيه الإمام الأوحد أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى رضى الله عنه(*) :

١ – لك الحمدُ يارب والشكر تَمْ	لك الحمدُ ما باحَ بالشكر فَمْ
٢ – لك الحمدُ فى كل ما حالـةٍ	فقد خَصَّنى منْك فَضلٌ وعَمْ
٣ – من الماءِ أنشأتنى نطفـةً	ومن بعد ذلك لحـم ودَمْ
٤ – وأسكنتَ فى جسدى رُوحَـه	وأَحْملْتَها فى طِبَاقِ الرَّحِمْ
٥ – وأخرجْتَنى بعدُ فى عالمـى	وبلَّغْتَنِى دَرَجاتِ الفَهـم
٦ – فمنك لى البصرُ المقتفِـى	وسمعٌ وذوقٌ ونطقٌ وشَـمْ
٧ – وحِسٌّ صحـيحٌ وتمييزُ مـا	خلقْـتَ بأنواعِـه من أُمَـم
٨ – ومَكَّنْتَنى من فنونِ العُلـومِ	ببادِى الكـلام وخَطِّ القَلَـمْ
٩ – وعلمتنى الحكم فى هَـلْ ومَـا	وأَطْلَعْتَنى طَلْـع كيفَ ولَـمْ
١٠ – وَحَـدُّ الحقائق ميـزْتَ لى	من الباطِلِ المتقى فى الكـلمْ

(*) هذه القصيدة حديث عن نعم الله ، وكونه ، وصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وفيها وعظ حسن . ارتجلت فى مجلس الخلافة .

(١) بين قوله (تم ، فم) جناس . وأرجح أن تكون : « ثم » .

(٢) ما حالة : تقديم (ما) على ا لنكرة يفيد المبالغة فى الاستغراق وتأكيده .

(٣) هذه إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **الله الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ...** ﴾ .

(٨) ببادى الكلام : أى ظاهره وبليغه .

(٩) المراد الوقوف على ما يسأل بهل ، وما ، وكيف ، ولِمَ .

(١٠) المتقى : المحذور .

١١ – ببرهان صدق يليح اليقيـنَ ويَنْفِى المحـالَ وُيبْدِى الحكَـمْ
١٢ – ويُوفى المسـمَّى بيانَ اسمـه ويَحْتِدُ بالوصف ما لم يُسَـمْ
١٣ – ومن هَيْئـةِ الفَلَكِ المستَدِيرِ وقَفْتُ على حدِّه المُنْتَظِـمْ
١٤ – وما فيه من فلـكٍ دائرٍ ومن كوكبٍ قاطـعٍ كالعَلَمْ
١٥ – فأكبرهـا قاصِدا مَغْربـاً وسائرُهـا جهـةَ المشرق أَمْ
١٦ – إدارةُ رَبٍّ لها مُنْشِـى يصرفها أَمْرُه حيث حُـمْ
١٧ – يخالفُ ما بين أدْوارهـا على سنَنٍ راتبٍ مُسْتَـتِمْ
١٨ – ليعلمَ أهلُ النُّهـى أنَّهـا مَدَبَّرَةٌ لحكيـم حَكَـمْ
١٩ – وأن ليس يختار شيئا ولا لنا الحكم بل الإلـه الأَمَـمْ
٢٠ – يُديرُ بأزْمانِهـا دَهْرَهـا فَيَثْبُتُ مَبْدَؤُهـا لِلْفَهِـم
٢١ – وتشهدُ أن الذى صاغَهـا هو الواحدُ الحقُّ بارى النَّسَـمْ
٢٢ – هو الأولُ المبتدِى خَلْقَهـا كما شاءَ إذْ شَاء فرقٌ وضَـمْ
٢٣ – فأبدى الزمانَ وأبدى المكـا نَ وما فيهما صاغ بَدْءً ولَمْ
٢٤ – هواءٌ وماءٌ وأرضٌ ونـارٌ ومَشْـرِقُ أنوارِهـا والظُّلَـمْ
٢٥ – نهـار مضـىءٌ وليـلٌ أحَـمْ وبحرٌ عميـقٌ وطودٌ أَشَـمْ
٢٦ – وركب لديهـا كيف يشـاء فسـكانُ بَرٍّ وسُكَّـانُ يَـمْ
٢٧ – ونبتٌ يقوم على ساقِـه وآخـرُ لا ساقَ يُعْليـه ثَمْ

---

(١١) يليح : يظهر اليقين ويبدى ضوءه ، من (ألاح) بمعنى تلألا .

(١٢) نُوفى (فى الأصل) و (يحتد) فى الأصل . والظاهر أنه يحتد من حددته : فصَّلته ووضحته .

(١٤) كالعلم : كالجبل .

(١٦) حُم : قضى وحكم ونزل .

(١٨) النهى : العقول .

(١٩) فى الأصل : (لألاه) .

(٢٢) فرق وضم : تفريق وتجميع .

(٢٣) ولمْ : جمع .

(٢٥) أحم : مظلم ، وطود أشم : جبل مرتفع عالٍ .

(٢٧) ثم : هناك .

٢٨ – بلا فِيمَ قطعا ولا لَمْ ولَا هنالِك مِمَّ ولا فيه بِمْ
٢٩ – ولا كان شىءٌ سواه له مثَالاً ولا مخرباً ما نَظَمْ
٣٠ – فصاغ العقولَ كما شاءَهَا فمن شاءَ أذْكَى ومن شَا أصَمْ
٣١ – وركبها فى النفوسِ التى كما شَاءَ إنشاءَها ربُّكُمْ
٣٢ – وما كانَ منْ قَبْلُ عَقلٌ ولا شفاةٌ ولا كانَ مدحٌ ولا ذَمْ
٣٣ – ولا كان عدلٌ ولا حكمةٌ ولا كان ظُلْمٌ ولا مَنْ ظَلَمْ
٣٤ – ولو كانَ ذلك لم يعتَدلْ وجودُ الأُمور ولم يَسْتقمْ
٣٥ – لأن الكثير له عدةٌ تُعَدُّ وتحصره إذْ يُعَمْ
٣٦ – وما حصرتْه حدودُ الكلام فوجْدانُه صح بعد العدمْ
٣٧ – فغاياتُه جامعاتٌ له فقد صح مَبْدَؤُه وانتظَمْ
٣٨ – ولكن مبدعَها واحدٌ هو الأولُ الحقّ أفنى إرَمْ
٣٩ – وليس بمعجزه ما يقُومُ بوَهْمٍ إليه وما لَمْ يَقُمْ
٤٠ – ولا شىءَ يشْبِهه جُملَة يحقق ذلك من قدْ عَلِمْ
٤١ – فأبْدَى اللغاتِ وأعطى العلومَ وأفشى الصناعاتِ والكُلَّ زَمْ
٤٢ – ولولا التعاليمُ لم نَدْرِها ولا عاشَ حىٌّ ولا تغد أم
٤٣ – فصحَّ بذلك إرسالُ مَنْ به علم الناس ما قد عُلِمْ
٤٤ – فيالك برهان حَقٍّ بدا مخَلِّى من الجهْل ما قد أهَمْ

---

(٢٨) المراد نفى أن يتوجه بهذه الأسئلة عن الله سبحانه ، فهو منزه عن ما يخطر بالبال ، متعالٍ عن النظير والمثال : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ وفيم ؟ ولِمَ ؟ ومِمَّ ؟ وبم ؟ أسئلة تتوجه على غيره سبحانه .

(٣٠) المراد : ومن شاء أصمه ، فعل به ذلك .

(٣١) وربكها : الضمير للعقول .

(٣٨) إرم : ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وهم عاد قوم هود عليه السلام .

(٤١) والكل زم : أى ضمن وحمى ورعى الجميع .

(٤٢) ولا تغد أم : أى ولا تغذى قاصد .

٤٥ – بصــــدقِ النبـوة والمبتـدِى لخلق الجميع ومُنْشى النّعَـمْ
٤٦ – وَأرسل مُرْسَـلـه بالهُدَى عَلَى ما قضاه وما قدْ حَتَـمْ
٤٧ – محمـدٌ المصطفَى بالكِتَاب به أنبياء الهدى قد خَتَـمْ
٤٨ – فشق لنا القمـر المستنيرْ بحضرة راضين أو من زَعَـمْ
٤٩ – وأبدى اليـنابيعَ عِـنْ كَفِّـه فأروى به الجيشَ والجيشُ جَـمْ
٥٠ – وأعجز فى نظم قرآنِـه أولى حَضَـر وبداة الخِيَـمْ
٥١ – ودانَ المـلوكُ لآياتـــه خِـلافَ التكاذيبِ ممْن زعَـمْ
٥٢ – على غير خوف له يُتّقَـى ولا رَغْبـةٍ عنده تغتَنَـمْ
٥٣ – فَحلُّـوا له عَقْدَ تيجانهـم وحَلُّوا له ملكَهُمْ فانهدَمْ
٥٤ – بطيـب النُّفُوس بِـلا سَلِّ سَيْـــفٍ ولا بَذْلِ مالٍ له يُقْتَسَـمْ
٥٥ – كبـاذانَ فى اليمن المنتبى وأهْـلِ عُمَـانَ وضَاحِـى قدمْ
٥٦ – إلى ذِى الكلاعِ وذِى ذُورَةٍ إلى ذِى ظُلَيْم فأقْصَى إرَمْ
٥٧ – وصَحَّ لنا نقلُ أعْلَامِـه وأحْكَامِـه باتصَالٍ سَلِـمْ
٥٨ – فَمَـا فيه معترف يُتَّقَـى بإطْبَـاقِ عُرْب ونَقْلِ العَجَـمْ
٥٩ – وقد ظهر الحـقُّ فيما به أتَى لا كَنَقْلٍ كثيرِ السَّقَمْ
٦٠ – كنقْلِ النصارى ونقلِ اليهودِ ونقلِ المجوسِ لأخبارِ خُـمْ
٦١ – أحاديثُ لم تكُ فى أُصْلِهَا تُبَـاحُ ولكنَّهـا تُكْتَتَـمْ
٦٢ – ولم تأتِ إلا بنقلٍ أتَى به كُلُّ مفتضِـح مُتَّهَـمْ
٦٣ – يناقِضُ بعضُهـا بَعْضَهـا تَكاذِيبُها باديـاتٌ تُنَـمْ
٦٤ – فشتَّانَ بين الهُدَى والعَمَى وشَتَّانَ نُورُ الضحى والعَتَمْ

---

(٤٩) الجيش جم : أى كثير العدد .

(٥٥) باذان : كان حاكم اليمن . والمنتبى : البعيد .

(٦٠) خم : أحد ملوك الفرس ، ومعنى خم : شعاع الشمس – وأظنه يعنى هنا نقل فرقه الرافضة لأخبار غدير خم ، وهى أحاديث موضوعه فى فضائل علىّ .

(٦٢) مفتضح ، فى الأصل : (مفتح) .

(٦٣) تنم : تنقل من مكان إلى آخر ، أو هى تنم : تخبر عن نفسها .

(٦٤) العتم : الظلمة .

٦٥ – فما جاء من عند رَبِّ الجميع   على يَدِ مرسَلِهِ قُلْ نَعَمْ
٦٦ – ولا تعدُه واطَّرِحْ غيرَه   وإن لامَ فيه أَخٌ وابنٌ عَمْ
٦٧ – تفزْ بالحقيقة مستعجلا   وتسلمْ إذا مُتَّ منْ كُلِ غَمْ
٦٨ – ولا تلتفتّ لدعَاوٍ أُتَتْ   لقوم براهينها لم تقم
٦٩ – ولا تشتغل بالذى نفعُه   لدينا لها أمدٌ منْصَرِمْ
٧٠ – فما هذه الدار إنْ حُصِّلَتْ   حَقِيقَتُها غَيْرِ طَيْفِ أُلَمْ
٧١ – سيفنى العزيزُ ويفنى الذليلَ   وتفنى القُوى وسيفنى الأكَمْ
٧٢ – يبيد الجميعُ فلا تغترِرْ   بما لا يدومُ لمن لمْ يَدُمْ
٧٣ – فأين الذين بنوا تَدْمُرَا   وبانى البرائى وبانى الهَرمْ
٧٤ – وأين الأولى أحكموا قادِشاً   وعقد قناطِرِها والصَّنَمْ
٧٥ – أولئك أهلُ القوى قد مضَوا   كما قد مضى سَدُّ سَيْلِ العَرِمْ
٧٦ – فمن حَالِ طفلٍ إلى صَبْوةٍ   وشَرْخ شبابٍ ويأتى الهرم
٧٧ – وتأتى المنيةُ لابد أَنْ   يطيف بنَا حكمُهَا الملتزمْ
٧٨ – ومن بعد ذلك دارُ الجزاى   وما قد مضى فكماضى الحُلُمْ
٧٩ – فدارُ النعيم لأهلِ الفلاح   ونارٌ لمن قد عصى تَصْطَلِمْ
٨٠ – فبادِرْ قبيل حلول الردَى   فتندمُ إذْ ليس يُغْنى الندَمْ

هذه القصيدة فى إثبات حدوث العالم وصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وفيها وعظ حسن ، ارتجلها الفقيه فى مجلس الخلافة دون إعمال روية ، رحمه الله .

---

(٦٦) اطرح : اترك .
(٦٨) براهينها ، فى الأصل : (برهانها) .
(٦٩) منصرم : منقض .
(٧٢) يبيد : يهلك .
(٧٣) تدمر : اسم مدينة ، وتدمر بنت حسان بن أذينة بها سميت مدينتها .

وهذه القصيدة التى وردت من ملك النصارى يذكر فيها ما أخذ الروم من بلاد الثغور ، وقد تقدم جواب الفقيه – رضى الله عنه – وأخرناها لأمر(*) .

١ – من الملكِ الظهر المسيحى مَأْلَكاً ... إلى خَلف الأملاك من آل هاشم

٢ – إلى الملكِ الفضلِ المطيع أخى العُلَا ... ومن يُرْتَجى للمعضلاتِ العظائم

٣ – إذا سمعت أذناك ما أنا صانعٌ ... بلى قد أتاك الوهن من فعلِ حازم

٤ – فإنْ تَكُ عما قلدت نائما ... فإنى عَمَّا هَمَّنى غَيْرُ نائم

٥ – ثُغورُكُمُ لم يبقَ فيها لوهْنِكُمْ ... وجورِكُمُ إلا رُسُومُ المَعَالِم

٦ – فتحنا الثغورَ الأرمنية كُلَّها ... بفتيانِ صِدْقٍ كالليوثِ الضَّراغم

٧ – ونحن جَلَبْنَا الخيل تَعْلِكُ لُجْمَهَا ... وتبلغ منها قضمها للشكائم

٨ – إلى كلِّ ثغر بالجزيرة آهلٍ ... إلى جُنْدِ قِنّسْرِينِكُمْ بالعواصم

(*) هذا ما كتب بالمخطوط (الديوان) أما هنا فنحن لم نلتزم ذلك ، بل نقدمها ، ليكون معلوما رد ابن حزم عليها ، لاسيما وقد تقدم عليها غيرها من القصائد فى المخطوط وقد جاءت هذه القصيدة من تقفور ملك الأرمن واسمه الدمستق – عليه اللعنة – فساءت المسلمين وشقت عليهم لما كان اللعين أجرى إليهم فيها من التثريب والتعيير ، وضروب الوعيد والتهديد . وهذه القصيدة من نظم بعض كتابه ممن كان قد خذله الله وأضله وختم على سمعه وقلبه ، يفتخر فيها بهذا الملك اللعين ويتعرض لسب الإسلام والمسلمين ، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ، وربما يعرض فيها بجانب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام .

(١) فى (د ، ط) : الطُهر . وفى (ط) : رسالة (بدل) : مألكا . والشطر الثانى فى (ط) : إلى قائم بالملك من آل هاشم .

(٣) فى (د ، ط) : أما سمعت .

(٤) فى (د) : تقلد .

(٥) فى (ط) : لوهنكم وضعفكم . وفى (د) : وجوركم وضعفكم .

(٧) فى (د) : صلبنا ، وفى (ط) : ويلعب منها بعضها بالشكائم .

(٨) فى (د) : فالعواصم . وفى (ط) : والعواصم .

٩ – فكركر مع شمساط مغْ مَلْطَـةٍ   وفى البحر أضعاف الفتوح النواجم
١٠ – وبالحدث الحمراءِ جالَتْ عَسَاكِرِى   وكيسُومَ بعد الجعْفَرِى المعالم
١١ – فكم قد أهنا من أعزة أهلها   فصاروا لنا من بين عبد وخادم
١٢ – وسل بسروج إذ خرجنا بجمعنا   لها رتبة تعلو على كل قائم
١٣ – وأهل الرها لاذوا بنا وتحرموا   بمنديل مولى جل عن وصف آدمى
١٤ – وصبح رأس العين منا بطارق   ببيض غذوناها بضرب الجماجم
١٥ – ودارى وميا فارقين وأرزنا   صبحناهم بالخيل مثل الملاغـم
١٦ – واقريطش جازت إليها مراكبى   على ظهر بحر مزبد متلاطـم
١٧ – فحزتهم أسرى وسقت نساءهم   ذوات الشعور المسبلات الفواحم

---

(٩) البيت فى (د) : ملطقة مع سميساط من بعد كركر .
وفى (س) : وملطى مع سميساط من بعد كركر وفى البحر أصْفاف الفتوح القواصم .
(١٠) فى (ط) : البيضاء . وفى (د) : للمعالم .
(١١) فى (د) : وكم قد ذللنا . وفى (ط) : ومرعش أذللنا أعزة أهلها .·. فصارت ما بين ...
(١٢) فى (د) : وسد سروج إذ خرجنا بجمعنا .·. لنا رتبة تعلو على كل قائم
وفى (ط) : وسل بسروج ، بجمعه . وهى فى الأصل هكذا : لسروج ، رته .
وفى (ط) : تميد به تعلو .
(١٥) فى (د) : أذقناهم بالخيل طعم العلاقم . وفى (ط) : وأردنا . وبعد البيت (١٥) وملنا على طرسوس ميلة غامر   أذقناهم فيها بحز الحلاقـم
(١٧) فى (د) : وسيقت . وفى (ط) : فحزناهم .

١٨ – هناك فتحنا عينَ ذرية عنوةً   نعم وأبذْنَا كُل طَاغٍ وظالم
١٩ – إلى حَلب حتى استبحْنَا حريمَها   وهدم مِنْها سُورَها كُلَّ هادِم
٢٠ – وقد فرَّ عنها سيفُ دولةِ دينكم   وناصرها منا على رغم راغم
٢١ – وملْنَا على طرسُوسَ ميلةَ عازِم   أخذنا لمن فيها أخذ البهائم
٢٢ – فكم ذات عز حرة علوية   منعمةِ الأطراف رَيَّا المَعَاصِم
٢٣ – سَبَيْنَا فسقنا خاضِعَاتٍ حواسراً   بغير مُهُورٍ ، لا ولا حُكْمِ حَاكِم
٢٤ – وكم من قتيلٍ قد تركْنا مجدَّلًا   يصب دماً بين اللَّها واللهازِمِ
٢٥ – وكم وقعة فى الدرب أفنت حماتكم   وسقناهم قهرا كسَوْقِ المراغِم
٢٦ – وملْنا على أرْتَاحِكم وحريمكم   قضوبا فسقناهما تحتَ العجاج السواهم
٢٧ – فأهوتْ أعاليهَا وبُدِّلَ رسْمُهَا   من الأُنْس وَحْشاً بَعْدَ بيضٍ نواعِمِ
٢٨ – إذا صاحَ فيها البومُ جاوبَه الصَّدَى   وأَتْبَعهُ فى الرَّبْع نوحُ الحمائم

---

(١٨) فى (د) : ذربة . وفى (ط) : بهم فأبدنا .
(١٩) فى (ط) : منها ، وهى فى الأصل : (منا) . وفى (د) بعد البيت (١٩) :
أخذنا النساء ثم البنات نسوقهم   وصبيانهم مثل المماليك خادم
أما فى (ط) فبعد البيت (١٩) :
وكم ذات خدر حرة علوية   منعمة الأطراف غرثى المعاصم
(٢٠) فى (د) : وناصركم .
(٢١) فى (ط) : حازم ، أذقنا لمن فيها لحز الحلاقم .
(٢٣) فى (ط) : فسقنا .
(٢٤) فى (ط) : مجندلا .
(٢٥) فى (ط) : ذاقت كما تكم ، فسقناكم سوقا كسوق البهائم .
(٢٦) فى (د) : أرحامكم ....   مدوخة تحت العجاج السواهم .
فى (ط) : وملنا إلى أرياحكم وحريمها   بمعجزة تحت العجاج السوالم .
(٢٧) فى (ط) : بعض بيض .
(٢٨) فى (ط) : وأسعده فى النوح .

٢٩ – وإنْظَاكُ لم تَبْعُدْ علَىَّ وإنَّنى سأفْتَحُهَا يوماً بهتْكِ المحَارِمِ
٣٠ – ومسكنُ آبائى دمشق فإنَّنى سأُرْجع فيها ملكَنَا تحت خاتمى
٣١ – وأفتح مصرا عنوة وصعيدَها وآخذ أرزاقاً بها لبهائمى
٣٢ – وأُجْرى كافوراً بما يَسْتَحقُّه بمشطٍ ومقْراضٍ ومَصٍّ مَحَاجِم
٣٣ – ألا شَمِّروا يا أهْلَ حران شمروا أتَتْكم جيوشُ الروم مثلُ الغمائِم
٣٤ – فإن تهربوا تَنْجوا كراماً وتسلَمُوا من الملك الضارى بقتْل المخاصم
٣٥ – هناك نصيبين وموصلها إلى جزيرة آبائى وملك الأقادم
٣٦ – سأفتح سامرًا وكوثَا وعكبرا وتكريتها مع حبل والبطايم
٣٧ – وأقتل أهلها الرجالَ بأسرهم وأغْنَمُ أموالاً بها لمكارم
٣٨ – ألا شَمِّرُوا يا أهْلَ بَغْدَادَ ويْلَكُمْ فكلكم مستَضْعَفٌ غيرُ دَائِم
٣٩ – رضيتم بحكم الديْلَمِىِّ خليفةً فصرتُم عبيداً للعبيدِ الدَّيَالِمِ
٤٠ – ويا قاطنى سِنْجَارَ ويْلَكُمْ ارجعُوا إلى أرض صَنْعَاءَ وأرض التهائِم

---

(٢٩) فى (ط) : سألحقها يوما بنزوة حازم .
(٣٠) ..... وإنـــه سيرجع فيها ملكها تحت خاتمى .
(٣١) فى (د) : ومصر سأفتحها بسيفى عنوة وأخذ أموالا بها وبهائمى
وفى (ط) : ...... وأحرز أموالا بها فى غنائمى .
(٣٢) فى (ط) : وكافور أغزوه ، بمص المحاجم . وفى (د) : بقص محاجم .
(٣٣) فى (د) : أهل حمدان ، وفى (ط) : حران ويلكم .
(٣٤) فى (ط) : المغرى بقتل المسالم . وفى (د) : الصادى .
(٣٥) فى (د) : كذلك . مع ماردين العواصم .
والأبيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ليست فى (ط) .
(٣٧) مستضعف وحرائم .
(٣٨) فى (ط) : فملككم .
(٣٩) فى (د) : ورفضه . وفى (ط) : بأن الديملى .
(٤٠) فى (د) : وياقاطنى الرحلات ، صنعاء راعبين البهائم . وهو غير موجود فى (ط) .

٤١ – وعُودُوا إلى أرض الحجازِ أذلةً		وخَلُّوا بلادَ الرُّومِ أَهْلِ المكارم
٤٢ – سألقى جيوشى نحو بغداد سائرا		إلى باب طاق بالحمامة القماقم
٤٣ – فأحرق أعلاهَا وأهدِمُ سُورَها		وأسبى ذراريها على رَغْم رَاغِم
٤٤ – وأحرزُ أموالاً بها وَأَسِرَّةً		وأقتلُ مَنْ فيها بسَيْفِ النقائِم
٤٥ – وأسرى بجيشى نحو الأهواز مسرعا		لإِحْرَازِ ديباجٍ وخَزِّ السَّوَاسِمِ
٤٦ – فأشغِلُها نهْباً وأُخْلى قُصُورَهَا		وأُفْنى ذراريْها كفِعْلِ الأقادِمِ
٤٧ – ومنها إلى شيراز والرى فاعلَمُوا		خراسانَ إنِّى بالجيوش لَقَادِمِ
٤٨ – إلى شاخ بلخ بعدها وخواتها		وفرغانةَ معْ مَرْوِهَا والمخَارِمِ
٤٩ – فسابورَ أحْوِيها وأُهْدِمُ سُورَهَا		وأُورِدُها يوماً كطعم العلاقم
٥٠ – وكرمان لا أنسى سجستان كلَّها		إلى أصبهان الأرض شرَف الأعاجم

---

(٤١) فى (ط) : فعود .

(٤٢) سألقى بجيشى نحو بغداد سالما		إلى باب طاق ثم كرخ القماقم
هكذا فى (ط) جيوشا ، حيث دار (د) .

(٤٣) فى (د) : وأحرق .

(٤٦) وأشعلها نهبا وأهدم قصورها		وأسبى ذراريها ....

(٤٧) فى (د) : خراسان قصرى والجيوش بحارم . وفى (ط) : بالجيوش الصوارم .

(٤٨) فى (د) : شاس .

(٤٩) فى (د) : أهدمها وأهدم صورها ، كيوم السحائم . وفى الأصل : لطعم .

(٥٠) الشطر الثانى فى (د) : وكابلها النائى وملك الأعاجم .

والأبيات : (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١) ليست فى (ط) . وفى (د) بعد البيت (٥٠) :

أسير بجندى نحو بصرتها التى		لها بحر عجاج رائع متلازم

٥١ - إلى واسطٍ وسْطَ العراقِ وكوفةٍ ... بما كان يوماً جَدُّنَا ذُو العَزَائِم
٥٢ - وَأُسْرِعُ منها نحو مكةَ سائِراً ... أُجُرُّ جيوشاً كالبحارِ الخَضائم
٥٣ - فأملكها دهْراً عزيزاً مسلَّماً ... أُقيمُ بها للحقِّ كُرسىَّ عَالِمِ
٥٤ - وأحوى نجداً كُلَّها وتهامةً ... ومن سَرْوِها من مذحجٍ وقَحَاطِم
٥٥ - وأغزو صنْعا كُلَّها وحيالَها ... وعربانَها مع صَعْدةٍ والتهائِمِ
٥٦ - إلى حضرموتَ سَهْلها وجبالِهَا ... إلى هجرٍ أبْدِى بها من عَظائِمى
٥٧ - فأتركُها قفراً يَباباً بَلاقِعاً ... جلاءً من الثَّاوِينَ دَهْشَةَ قَادِمِ
٥٨ - وأمْضى إلى القُدْسِ التى شرفتُ لَنَا ... بعزٍّ مَكِينٍ ثَابتِ الأصْلِ قَائِمِ
٥٩ - وأعْلُوا سريرى للسجودِ فيتَّقِى ... مُلُوكُ بنى حَوَّاء بَأْسِى المراغِم
٦٠ - هنالك تخلُو الأرضُ من كل مُسْلِمٍ ... لِكُلِّ نَقِى الدينِ أغلفَ ناعِمِ

---

(٥١) فى (د) :كما كان يوما جندنا .
(٥٢) فى (د ، ط) : وأخر منها ... مسرعا ، .... كالليالى السواجم .
(٥٣) فى (ط) : ... سليمـا مسلمـا ∴ وأنصب كرسيا لأفضل عالم
(٥٤) فى (د) :وتهامها ، وسرواتها .
(٥٥) وأغزو يمانا كلها وزبيدها ∴ وصنعائهـا .
(٥٦) ليس فى (د) .
(٥٧) فأتركها أيضـا خرابـا ... خلاء من الأهلين أهل نعائم
وفى (ط) : أرض المعالم .
(٥٨) فى (د) :أعود إلى القدس . فى (ط) : أسرى . والشطر الثانى فى (ط) : عزيزا مكينا بانيا للدعائم . وفى (د) بعد البيت (٥٧) :
وأحوى أموال اليمانين كلهـا ... وما جمع القرماط يوم محـارم
(٥٩) للسجود معظمـا ∴ وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم .
(٦٠) فى (د) :أغلف زاعـم .

٦١ – نُصِرنا عليكم حين جار ولاتكم   وأعلنتم بالمنكرات العظائم
٦٢ – قضاتكم ابتَاعُوا القضاءَ بدِينهم   كبَيْعِ ابنِ يعقوبَ ببخْسِ الدَّرَاهِم
٦٣ – عُدولُكم يمشون بالزور كلُّهم   وبالبر والبرطيل مع كل قائم
٦٤ – سأفتح أرضَ اللهِ شرقاً ومغرباً   وأنشرُ دينَ الصُّلْبِ نَشْرَ الغَمَائِم
٦٥ – فعيسى عَلَا فَوْقَ السماواتِ عرشُه   ففازَ الذى والاه يومَ الخَصَائِم
٦٦ – وصاحبُكُمْ فى التُّرْبِ أَوْدَى به الثَّرَى   فصارَ رُفَاتاً بين تلكَ الرمَائِم
٦٧ – تناولتم أصحابَه بعد موتِه   بسَبٍّ وقذف وانتهاكِ مَحَارِم

تمت ، فعلى قائلها وباعثها لعنة الله ، فلما بلغت أمير المؤمنين المعتد بالله بالأندلس – وكانت مرسلة إلى المطيع ببغداد ، ووقف عليها الإمام أبو محمد رضى الله عنه ، أجاب عنها حمية لله ، ولم يكن يريد الجواب إلى ملك الروم لعنه الله .

---

(٦١) فى (ط) :
ملكنا عليكم حين جار قويكم   وعاملتم بالمنكرات العظائم
فى (د) : ... جارت .
(٦٢) قضاتكم باعوا جهارا قضاءهم
(٦٣) فى (د) :... بالزور يشهد ظاهرا ∴ وبالإفك والبرطيل
وفى (ط) : شيوخكم بالزور تشاهدوا ∴ وبالبز والبرطيل فى كل عالم
(٦٤) فى (د) : دينا للصليب بصارم .
وفى (ط) :
سأفتح أرض الشرق طرا ومغربا   وأنشر دين الصلب نشر العمائم
قال السبكى فى « الطبقات الكبرى » : ثم ذكر ثلاثة أبيات ، لم استبح حكايتها .
(٦٥) فى (د) :التخاصم .
(٦٦) فى (د) :بالترب .
(٦٧) فى (د) :المحارم .

قال ابن كثير :

« هذا آخرها ، لعن الله ناظمها ، وأسكنه النار يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ..... » .

ثم أتى بقصيدة ابن حزم بعدها قائلا :

« وهذا جوابها لأبى محمد بن حزم الفقيه الظاهرى الأندلسى ، قالها ارتجالها حين بلغته هذه الملعونة غضبا لله ولرسوله ولدينه ، كما ذكر ذلك من رآه رحمه الله وأكرم مثواه وغفر له خطاياه » .

وعدة هذه فى ابن كثير[١] (٦٩) بيتا .

وقال السبكى[٢] :

« افتخر تقفور بأخذهم سروج ، والآخذ لها غيره من الروم ، وكذلك جزيرة إقريطش ، إنما أخذها ملك الروم أرمانوس بن قسطنطين ، وكل ذلك قبل سنة ٣٥٢ هـ .

وإنما تملك تقفور اللعين سنة ٣٥٢ هـ ، وتقفور هو الدمستق ، فتح المصيصة بالسيف ، ثم صار إلى طرسوس فطلب أهلها الأمان ، ودخلها وجعل الجامع اصطبلا لدوابهم ، وصارت فى أيديهم فيما أحسب إلى سنة ٧٦١ هـ .

فتحها الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى حال نيابته بحلب أحسن الله جزاءه ، وأما سيف الدولة ابن حمدان فقد كانت له الآثار الجميلة إذ ذاك ، وغزا الروم فى سنة ٣٣٩ هـ فى ثلاثين ألفا ، وفتح حصونا عديدة ، وقتل وسبى

---

(١) البداية والنهاية (٢٤٤/١١ - ٢٤٧) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى .

وغنم ، ثم أخذ الروم عليه الدرب واستولوا على عسكره قتلا وأسرا ، وله معهم حروب يطول شرحها .

والمنديل المشار إليه كان من آثار عيسى ابن مريم عليه السلام عند أهل الرها يتبركون به ، فحاصرها إلى أن صالحوه وسلموه إليه .

وقد وقفت للفقيه أبي محمد ابن حزم الظاهرى على جواب هذه القصيدة الملعونة أجاد فيه وكأنه لم يبلغه جواب القفال » .

وقد ذكر الإمام السبكى رد القفال عليها فى طبقاته ، وهو فى حوالى (٧٤) بيتا . انظرها فى الطبقات (٢/١٨١ ، ١٨٤) .

وأولها :

أتانى مقال لامرىء غير عالم بطرق مجارى القول عند التخاصم
تخرص ألقابا له جد كاذب وعدد آثارا له جد واهم
وأفرط إرعادًا بما لا يطيقه وأدلى ببرهان له غير لازم
تسمى بطهر وهو أنجس مشرك مدنسة أثوابه بالمداسم

ذكر فى « صلة الصلة »[1] – وهو التاريخ المعروف بتاريخ الفرنجا – أن التقفور[2] ملك النصارى أرسل بقصيدة نظمها كاتب مرتد[3] ، وأرسلها إلى أمير المؤمنين المطيع رضى الله عنه ، وذلك إذ أخذت النصارى بعض ثغور الإسلام ، فلما وصلت إلى مجلس الخلافة ، وقدمت بين يدى أمير المؤمنين المعتد بالله تعالى بالأندلس ، (ولم يقصد بها المعتد ، وإنما وردت من بلاد المشرق) .

اهتز الفقيه الإمام أبو محمد[4] – رضى الله عنه – عند سماعها غضبا لله عز وجل ولرسوله ولدينه ، وارتجل قصيدة على البديهة ، ولم يتثبت فيها لشدة غضبه – رضى الله عنه – فقال رحمه الله :

---

(١) صلة الصلة للفرغانى .

(٢) هو ملك الأرمن واسمه الدمستق ، من أغلظ الملوك قلبا وأشدهم كفرا ، وأقواهم بأسا وأحدهم شوكة ، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين فى زمانه ، استحوذ فى أيامه – لعنه الله – على كثير من البلاد والسواحل ، وذلك لتقصير أهل الزمان ، وظهور أهل البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وفشو البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد ، مع الخوف الشديد ونكد العيش ، مات سنة ٣٥٢ هـ وقيل ٣٥٥ ، وقيل ٣٥٦ لا رحمه الله ، إذ سلط عليه زوجته فقتلته بجواريها فى وسط مسكنه وأراح الله الإسلام وأهله ، واتفق فى سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية فتكاملت المسرات وحصلت الأمنية . (البداية والنهاية (١١/٢٤١ – ٢٤٤) .

(٣) يفتخر فيها بهذا اللعين ويتعرض لسب الإسلام والمسلمين ويتوعد أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين .

(٤) الذى أفاد بفريدته وأجاد ، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد ، رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

الفريدة الإسلامية فى الرد على الأرمنية(*)

١ – من المحتمى لله رب العوالم ‏ ‏ ودين رسول الله من آل هاشم
٢ – محمد الهادى إلى الناس بالتقى ‏ ‏ وبالرشد والإسلام أفضل قادم
٣ – عليه من الله السلامُ مردداً ‏ ‏ إلى أن يوافى البعث كل العوالم
٤ – إلى قائل بالإفك جهلًا وضلةً ‏ ‏ عن التقفور المضرَّى فى الأعاجم
٥ – دعوت إماما ليس من أمواله ‏ ‏ بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
٦ – دهته الدواهى فى خلافته كما ‏ ‏ دهت قبله الأملاك دهم الدواهم
٧ – ولا عجب من نكبة أو ملمة ‏ ‏ تصيب الكريم الحر وابن الأكارم
٨ – ولو أنه فى حال ماضى جُدودِهِ ‏ ‏ لجرعتم منه سُموم الأراقم
٩ – عسى عطفة الله فى أهل دينه ‏ ‏ يجدد منهم دارسات المعالم

(*) تلك التسمية أخذناها من فهرست البداية والنهاية لابن كثير ، الذى نقل هذه القصيدة والقصيدة الأرمنية من خط ابن عساكر ، وقد نقلوها من كتاب (صلة الصلة للفرغانى) ، وقال : « وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة ، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة » .

وقد راجعناها على البداية لابن كثير وطبقات السبكى ورمزنا إليهما بالحرفين (د) للأول ، و (ط) للثانى .

(٢) فى (د) :إلى الله .... قائم .

(٣) فى (د) :الحشر .

(٤) فى (د ، ط) : على التقفور المضرى . وفى المخطوط : عن التقفور المفترى .

(٥) فى (د) : من أمرائه .

(٩) فى (د ، ط) : لله ، تجدد .

١٠ – فجرتم بما لو كان فيهم يريكم حقائِقَ دين الله أحكمِ حاكمِ
١١ – إذن لغزتكم خجلة عند ذكره وأخرس منكم كل قيل مخاصم
١٢ – سلبناكم دهرا ففزتم بكـرة من الدهر أفعال الضعاف العزايم
١٣ – فطرتم سرورا عند ذاك ونخوة كفعل المهين الناقص المتعاظم
١٤ – وما ذاكَ إلا فى تضاعيفِ غَفْلةٍ عرتْنا وصرْفُ الدهر جَمُّ الملاحم
١٥ – ولما تنازعنا الأمورَ تخاذلًا ودالتْ لأهلِ الجهلِ دولةُ ظالم
١٦ – وقد شغلت فينا الخلائفَ فتنةٌ لعبدانِهم من تُرْكهم والديالم
١٧ – بكفرِ أياديهم وجَحْدِ حقوقهم لمن رفعوه من حضيضِ التهايم
١٨ – وَثَبْتم على أطرافِنَا عند ذلكم وُثُوبَ لُصُوصٍ عند غَفْلةِ نائم
١٩ – ألم ننتزع منكم بأيدٍ وقوةٍ جميعَ بلادِ الشامِ ضربةَ لازم
٢٠ – ومصر وأرض القيروان بأسرها وأنْدلساً قسرا بضرب الجماجم
٢١ – ألم تنتصفْ منكم على ضَعْفِ حالها صقليةٌ فى بحرها المتلاطم
٢٢ – أحلتْ بقسطنطينية كلَّ نَكْبة وسامتكم سوءَ العذابِ الملازم

---

(١٠) البيت فى (د ، س) هكذا :

فخرتم بما لو كان فيكم حقيقة لكان بفضل الله أحكم حاكم

(١١) فى (د) : لاعترتكم ، فى (د) : لعرتكم . فى (د) : فيل .
(١٢) فى (د) : كرا ، بغرة ، من الكر .
(١٣) فى (د) : ونشوة .
(١٤) فى (د) : عريقا (بدل : عرتنا) .
(١٥) فى (د) : ودانت .
(١٦) فى (د) : مع تركهم . والترك والديالم : جيلان من الناس .
(١٧) فى (د) : بمن (بدل : لمن) .
(١٨) فى (د) : عند ذاكم .
(٢٠) فى (د) : ومصرا .
(٢١) فى (د) : ألم ننتزع ، حالقا .
(٢٢) هذا البيت ليس فى (د) .

٢٣ – مشاهدُ تقديساتكــم وبيوتُها لنا وبأيدينا على رغْـم راغِـمِ
٢٤ – أمَا بيتُ لحـم والقيامةُ بعدهـا بأيدِى رجالِ المسلمين الأعاظمِ
٢٥ – وكرسيكم فى أرض إسكندرية وكرسيكم فى القدس فى أورشالم
٢٦ – ضممناهم قسرا برغم أنوفكم كما ضمت الساقين سودُ الأداهم
٢٧ – وكرسى أنطاكيةَ كان بزمة ودهرا بأيدينا نذل الملاغم
٢٨ – فليس سوى كرسى رومة فيكم وكرسى قسطنطينية فى المقادم
٢٩ – ولابدَّ من عَوْدِ الجميع بأمْرِهِ إلينَا بعزْمٍ قَاهِرٍ مُتَعَاظِـمِ
٣٠ – أليس يزيدُ حلَّ وسط دياركم على باب قسطنطينية بالصوارم
٣١ – وسلمةُ قد دَاسَهـا بعد ذاكم بجيشٍ هُمَامٍ كالليوثِ الضراغم
٣٢ – وأخدمكُمْ بالذلِّ مسجـدَنَا الذى بَنَى فيكم فى عَصْرِنا المتقادِمِ
٣٣ – إلى جَنْبِ قصرِ الملك فى دار ملككم ألا هذه حقا صريمة هادم
٣٤ – وأدَّى لهرون الرشيد مليككم إتاوة مغلوب وجِزيةَ غارم
٣٥ – سَلَبْنَاكم مِصْراً شهورا بقوة حبانا بها الرحمنُ أرحمُ راحم

---

(٢٣) فى (ط) : لنا ولدينا .
(٢٥) فى (د) : وسركيسكم ، أدرشالم .
(٢٦) ضممناكم . والشطر الثانى : وكرسى قسطنطينية فى المعادم .
(٢٧) فى (ط) : كان برهة ، وبذل الملاغم .
والبيتان ٢٧ ، ٢٨ ليسا فى (د) .
(٢٩) فى (د ، ط) : بأسره .
(٣١) الشطر الثانى فى (د) : بجيش تهام قد دوى بالضراغم .
فى (ط) : لهام .
(٣٢) فى (د) : فى عصر .
(٣٣) فى (د) : صرامة . وفى (د ، ط) : صارم (بدل : هادم) .
(٣٤) فى المخطوط : هرون . فى (د) : رفادة مظلوم ، ومطلوب فى (ط) .
(٣٥) فى المخطوط : مسرى ، وشهود فى (د) .

٣٦ – إلى أرض يعقوب وأرياف دومة إلى لجة البحر البعيد المَخَارِم
٣٧ – فهل سرتم فى أرض قط جمعة أبى الله ذاكم يابقاة الهزائم
٣٨ – فمالكم إلا ها الأمانى وحدها بضائع نوكى تلك أضغاث حالم
٣٩ – رويدا يَعُدْ نحو الخلافة نورها ويكشف مغبر الوجوه الشواهم
٤٠ – وحينئذ تدرون كيف فراركم إذا صدمتكم خيل جيش مصادم
٤١ – على سَلَفِ الغَارَاتِ مِنَّا ومنكُم لَيَالِىَ أَنْتم فى عِدَادِ الغنايم
٤٢ – سَبَيتُمْ سبايا ليس يكْثُر عدُّهــا وسبيكم فينا كَقَطْرِ الغمايم
٤٣ – فلو رام خلقٌ عدَّها رام معجزا وَأَنَّى بتعدادٍ لريشِ الحَمَايم
٤٤ – بأبناء حمدان وكافور صلتم أراذل أنجاس قصار المعاصـــم
٤٥ – دَعِىٌّ وحجــامٌ أتوكم فَتُهْتُمُ وما قدرُ مصَّاصٍ دماءَ المحاجِمِ
٤٦ – ليالى قُدْنَاكُمْ كما اقتادَ جازِرٌ جماعةَ أُتْياسٍ لحزِّ الحلاقم

---

(٣٦) البيت فى (د) هكذا :

إلى بيت يعقوب وأرباب دومة ... ... المحــاوم

والمخارم : الطرق . ومخارم الليل : أوائله ، والمخارم : أفواه الفجاج .

(٣٧) فى (د) : بقايا الهزائم .

(٣٨) فى (د ، ط) : الأمانى ، وأحلام نائم .

(٣٩) فى (د) : ومسفر مغبر الوجوه الهواشم . فى (ط) : السواهم .

(٤٠) فى (د) : قراركم .

(٤١) فى (د) : سالف العادات ، ليالى بهم فى عداد الغنائم . فى (ط) : سلف العادات .

(٤٢) فى (د) : سبايا يحصر العد دونها .

(٤٣) فى المخطوط : لرش .

(٤٤) فى (د) : بنى .

(٤٥) المعاصم : السواعد ، والمراد : قصر باعهم عن الخير .

(٤٦) فى (د) : قادوكم كما اقتادكم أقيال جرجان

٤٧ – وسقْنَا على رِسْلٍ بناتِ ملوككم   سَبَايَا كما سِيْقَتْ ظِبَاءُ الصرايم
٤٨ – ولكن سَلُوا عنا هرقْلاً ومن خَلا   لكم من ملُوكٍ مكرمين قَمَاقِمِ
٤٩ – يخبركم عنا المتوج منكــم   وقيصركم عن سبيْنَا كُلِّ آيِــم
٥٠ – وعما فتحنَا من مَنِيع بلادِكــم   وعما أقَمْنَا فِيكُم من مآتِـم
٥١ – ودعْ كُلَّ نَذْلٍ منتمى لا تَعُدُّه   إماماً ولا من محكَمَاتِ الدَّعَائِـم
٥٢ – فهيهات سامرَّا وتكريت منكم   إلى جبلا تلكم أمانى هائـــم
٥٣ – مُنىً يتمناها الضعيفُ ودُونَهـــا   تطايرُ قاماتٍ وحزُّ الغلاصــم
٥٤ – ومن دُونِ بغداد سيوفٌ حديدةٌ   ميسرةٌ للحرب من آلِ هاشــم
٥٥ – محلةُ أهلِ الزهدِ والخير والتقى   ومنزلةٌ يحتلهـا كلُّ عَالِـم
٥٦ – دَعُوا الرمْلَةَ الغراء عنكم فدونها   من المسلمين الصيدِ كُلُّ مخَاصِـم
٥٧ – ودونَ دمشق كُلُّ جيش كأنَّه   سحائبُ طَيْر تَنْتَحِى بالقوادِمِ
٥٨ – وضرب يلقى الروم كل مذلة   كما ضَرَبَ الضرابُ بيضَ الدراهم

---

(٤٧) فى (د) : وساقوا .
(٤٨) قماقم : القُماقِم من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .
(٤٩) فى (د) : التنوح وقيصر ، وكم قد سبينا من نساء كرائم .
(٥٠) فى (ط) : من مَسَالِم .
(٥١) فى (د) : ... نذل مفـترٍ .... ولا الدعوى له بالتقادم .
(٥٢) فى (ط) : جبل .
(٥٣) فى (ط) : هامات . فى (د) : وحر العلاصم .
(٥٤) البيت فى (د) هكذا :
تريدون بغداد سوقا جديدة   مسيرة شهر للفنيق القواصم
(٥٥) فى (د) : يختارها كل عالم ، فى (ط) : محتلها كل عالم .
(٥٦) فى (د) : الصهباء . وفى (ط) : ودونها ، كل ملازم .
(٥٨) فى الأصل : (منقى) . وفى (د) : وكما ضرب السكى .

٥٩ – ومن دون أُكْنَافِ الحجاز جحافِلٌ كَقَطْرِ الغُيُوثِ الهامِلاتِ السواجِمِ
٦٠ – بها مِنْ بنِي عَدْنَانَ كل سَمَيْدَعٍ ومنْ حى قَحطَانَ كِرامُ العمائِمِ
٦١ – ولو قد لقيتم من قضاعة عصبة لقيتم ضِرَاماً فى يبيس الهشائم
٦٢ – إذا صبَّحوكم ذكَّروكم بما خلا لهم معكم من مأزق متلاحـــم
٦٣ – زمانَ يقودُون الصوافنَ نحوكم ليبغُوا يَسَاراً منكم فى المغَانِم
٦٤ – سيأتيكم منهم قريباً عصائِبٌ تُنَسِّيكُمُ تذْكارَ أخْذ العواصم
٦٥ – وأموالكم فىء لهم ودماؤكُم بها يُشْتَفَى حر النفوس الحوائم
٦٦ – وأرضكم حقا سيقتسِمُونَها كما فعلوا دهرا بعدل المقاسم
٦٧ – ولو طَرَقتكم من خراسان عصبة وشيرازَ والرىّ القلاع القوائم
٦٨ – لما كان منكم عند ذلك غير ما عهدنا لكم ذُلّ وعض الأبَاهِمِ
٦٩ – فقد طال مازاروكم فى دياركم مسيرةَ عَامٍ بالخُيولِ القَلَاصِمِ
٧٠ – وأما سجستان وكرمان والأولى بكابلَ حَلُّوا فى ديار البراهم

---

(٥٩) فى (د) : كقطر الغيوم الهائلات السواحم .
(٦٠) فى (ط) : سميذع .
والسَّميدع : بفتح السين الشجاع والكريم ، الجميل الجسيم ، الموطأ الأكناف .
(٦١) فى (د) : كبة (بدل : عصبة) .
(٦٢) فى (د ، ط) : صادق متلاحم .
(٦٣) الشطر الثانى فى (د) :
فجئتم ضمانا أنكم فى الغنائم
(٦٥) فى (د) : حل لهم . فى (س) : فيئا لنا . فى (د) : حر الصدور .
(٦٧) فى (د) : الملاح القوائم .
(٦٩) فى (د) : الصوارم ، وفى (س) : الصلادم .
(٧٠) البيت فى (د) هكذا :
وأما سجستان وكرمـان بالـ أولى وكابل وحلوان بلاد المراهم

٧١ – فمغزاهم فى الهند لا يعرفونكم بغير أحاديث كذِكْرِ المكارم
٧٢ – وفى فارس والسوسَ جمعٌ عرمرمٌ وفى إصبهان كلُّ أرْوَعَ هائم
٧٣ – فَلَوْ قد أتاكم جمعُهم لغدوتم فرائس للآساد مثْلَ البهائم
٧٤ – وبالبصرة الزهراء والكوفة التى سمت وبأدنى واسط كالكظائم
٧٥ – جُموعٌ يسامى الرملَ جَمٌّ عديدهم فما أحدٌ ينْوِى لقاهم بِسَالم
٧٦ – ومِنْ دون بيت الله مكة التى حَبَاها بمجدٍ للثريَّا مزاحم
٧٧ – محل جميع الأرض منها تيقنا محلةَ سفْلِ الخفِّ من فص خاتم
٧٨ – دفاعٌ من الرحمن عنها يحفُّها فما هو غمًّا كر طرفٍ برائم
٧٩ – بها دفع الأحبوش عنها وقبلهم بحصباء طير منْ ذُرَى الجو حائم
٨٠ – وجمع كموج البحر ماضٍ عرمْرمٍ حَمَى سُرّة البطحاء ذات المحارِم
٨١ – ومنْ دُون قبر المصطفى وسْطَ طيبة جموعٌ كَمُسْوَدٍّ من الليلِ فَاحِمِ
٨٢ – تَقُودهم جيش الملائكة العُلَا كِفَاحاً ودفْعاً عن مُصَلٍّ وصَائِمِ
٨٣ – فلو قد لقيناكم لعدتم رمائما بمن فى أعلى نجدِنا والخضارِمِ
٨٤ – وباليمن الممنوع فتيانُ غَارةٍ إذَا ما لَقَوْكُمْ كنتُم كالمَطَاعِمِ
٨٥ – وفى جَلْهَتَىْ أرْضِ اليمامةِ عصبةٌ مغاورُ أنجادٍ طِوالُ البراجم

---

(٧١) فى (س) : لذكر التهازم . والبيت ليس فى (د) .
(٧٢) فى (ط) : عازم ، وفى (د) : عارم .
(٧٣) فى (د) : كالآساد فوق البهائم .
(٧٤) فى (د) : الغراء ، وبآدى واسط .
(٧٥) فى (د) : عــدًا وكثرة ∴ فما أحد عادوه منهم بسالم .
(٧٦) فى (د) : فى مكة ... للبرايا مزاحــم .
(٧٨) فى (د ، ط) : رد طرف . وفى (ط) : يحقها (بدل : يحفها) .
(٧٩) فى (د) : بها وقع الأحبوش هلكى وفيلهم ∴ .... فى ذرى
(٨٢) فى (د) : دفاعا (بدل : كفاحا) .
(٨٣) فى (د) : كما فرق الأعصار عظم البهائم. وفى (ط) : الحضارم .
(٨٥) فى (ط) : معاوز .

٨٦ – ستفنيكُم والقرمطين دولةٌ ... تعودُ لميمونِ النقيبةِ حـازمِ
٨٧ – خليفة حقٌّ ينصر الدينَ حكمُـه ... ولا يتقى فى الله لومةَ لائِـمِ
٨٨ – إلى ولد العباس تُنْمى جدُودُه ... ببحر عميم أو لزهر العباشِمِ
٨٩ – ملوكٌ جرى بالنصر طائرُ سَعْدهم ... فأهلا بماضٍ منهم وبقادِمِ
٩٠ – محلتهم فى مسجد القدس أو لدى ... منازلِ بغدادَ مَحلِّ الأكارم
٩١ – وإن كان من عليا عدى وقيسها ... ومن أسد أهل الصلاح الخضارم
٩٢ – فأهلا وسهلاً ثم نُعْمى ومَرْحَباً ... بهم من خيارٍ سَالفين أُقادمِ
٩٣ – هم نصروا الإسلام نصراً مؤزَّراً ... وهم فتحوا البلدان فتح المراغمِ
٩٤ – رويدا فوعد الله بالصد واردٌ ... بتجريع أهلِ الكُفْر طَعْم العلاقمِ
٩٥ – ونملك أَقْصى أَرْضِكم وبلادكم ... ونلزمكم ذُلَّ الجـزَى والمغارِمِ
٩٦ – ونفتح أَرْضَ الصين والهندِ عنْوةً ... بجيشٍ لأرضِ التُّركِ والخزر حاطم
٩٧ – مواعيد للرحمن فينا صحيحـة ... وليست كأمثال العقول السقايـم
٩٨ – إلى أَنْ نَرى الإسلام قد عم حكمُه ... جميعَ البلاد بالجيوش الصوارِمِ

---

(٨٦) فى (د) : نستفينكم ... .·. تقووا بميمون التقية حازم .
وفى (ط) : دولم (بدل : دولة) ، ويعود .
(٨٨) الشطر الثانى فى (د) : بفخر عميم مزبد الموج فاعم .
(٩٠) فى (د) : محلهم . وفى (ط) مجلس القدس .
(٩١) فى (د ، ط) : وتيمها . والشطر الثانى :

ومن أمد هذا الصلاح الحضارم .

(٩٤) بعده فى (ط) :

سنفتح قسطنطينية وذواتها ... ونجعلكم قو النسور القشاعم

(٩٥) ترتيب الأبيات (٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧) فى (د) هكذا :

ونفتح أرض الصين والهند عنوة ، ثم : مواعيد للرحمن ... ، ثم : ونملك أقصى ...

(٩٧) فى (د) : السواقم .
(٩٨) فى (ط) : يرى . فى (د) : جميع الأراضى .

٩٩ – أَيُقْرَنُ يا مخذولُ دين مُثلِّثٍ بعيدٌ عن المعْقُول بادى المآثم
١٠٠ – بديني لمخلوق بدين عبادة فيالك سخفا ليس يخفى لكاتم
١٠١ – أنا جيلكم مصنوعةٌ متكاذبٌ كلامُ الأُولَى فيها أتوا بالعظائم
١٠٢ – وعودُ صليبٍ لا تزالونَ سُجدًا له يا عقولَ الهاملات الصوائم
١٠٣ – تَدينُونَ تَضْلَالًا بَصلْبِ إلَهكم بأيدى يهودَ أَرْذلينَ ألائم
١٠٤ – إلى ملةِ الإسلامِ توحيد ربنا فما دينُ ذِى دين لنا بمقاوِم
١٠٥ – وصدقُ رسالاتِ الذى جاء بالهدى محمدٌ الآتى بدفع المظالم
١٠٦ – وأَذْعنتْ الأَملاكُ طوعاً لدينه ببرهانِ صدْقٍ ظَاهِرٍ فى المواسم
١٠٧ – كباذان فى صنعاء يالك دولة وأهلِ عمان حيثُ رهطُ الجهاضم
١٠٨ – وسائر أملاك اليمانين أَسْلَمُوا ومن بلد البحرين قوم اللهازم
١٠٩ – أجَابُوا لدينِ الله دُونَ مخافةٍ ولا رَغْبةٍ تحظى بها كَفُّ عَادِمِ
١١٠ – فحلُّوا عُرَى التيجانِ طوعاً ورغبة لحق أمين بالبراهين قائم
١١١ – وحاباه بالنصر المليكُ إلهه وصيَّر منْ عادَاه تحتَ المَناسِم

---

(٩٩) فى (د) : أتقرن ... دينا مثلثا ... بعيدا .
(١٠٠) تدين لمخلوص بدين لغيره فيالك سحقا ليس يخفى لعالم
(١٠١) فى (د) : مصنوعة قد تشابهت ، فيها أتوا .
(١٠٢) فى (د) : ما تزالون .
(١٠٣) فى (د) : لآثم .
(١٠٤) فى (د) : لها بمقاوم .
(١٠٥) فى (د) : برفع .
(١٠٦) فى (د) : طاهر .
(١٠٧) فى (د) : كإذان ... مالك .
(١٠٩) لا من مخافة .
(١١٠) فى (د ، ط) : بحق بقين بالبراهين فاحم .

١١٢– فقير وحيد لم تعنه عشــيرة ولا دفعوا عنه شتيمة شاتــم
١١٣– ولا عنده مال عتيد لناصــر ولا دفع مرهوب ولا لمسالــم
١١٤– ولا وعد الأنصار دنيا تخصهــم بلى كان معصوما لأقدر عاصم
١١٥– فلم يمتهنه قط هوة آســر ولا مكنت من جسمه يد لاطم
١١٦– كما يفترى زورا وإفكا وضلة على وجه عيسى منكم كل آثــم
١١٧– على أنكم قد قلتم هو ربكــم فيا لضــلال فى الحماقة جاثــم
١١٨– أبى الله أن يدعى له ابن وصاحب سيلقى دعاة الكفر حالة نادم
١١٩– ولكنه عَبْدٌ نبــيٌّ مكــرمٌ من الناسِ مخلوق ولا قولَ زاعِــم
١٢٠– أَيُلْطَمُ وجهُ الربِ تبًّا لجهلكم لقد فُقْتُمُ فى ظُلْمِكُمْ كُلَّ ظَالِم
١٢١– وكم آية أبْدى النبى محمــدٌ وكم علمٍ أبْداه للشرك حَاطِــم
١٢٢– تَسَاوَى جميعُ الناسِ فى نَصْرِ حقِّه فللكل من إعظامِه حالُ خادِم
١٢٣– فعرب وأحبوش وترك وبربر وكرد بهم قد فاز قدحُ المساهم
١٢٤– وقبطٌ وأنباطٌ وخزرٌ وديلَمٌ ورومٌ رمَوْكم دُونَه بالقواصم
١٢٥– أبَوا كُفْرَ أسْلَافٍ لهم فتحنَّفُوا فآبُوا بحظٍّ فى السعادةِ جاثِم

---

(١١٤) فى (ط) : ما لا يخصهم ، لأعظم عاصم .
(١١٥) فى (د) : ولم تنهنه ، يد ظالم .
(١١٦) فى (د) : إفكا وزورا ، كل لاطم .
(١١٧) فى (د) : فى القيامة عائم .
(١١٩) فى (د) : نبى رسول مكرم .
(١٢٠) فى (د) : تبا لدينكم ، فقتم فى قولكم . فى (ط) : فى جهلكم .
(١٢٢) فى (ط) : بل لكل فى إعطائه حال خادم .
(١٢٣) فى (د) : وفرس وبربر .. وفى (ط) : وفرس بهم قد فاز قدح المساهم .

١٢٦– به دَخَلُوا فى ملَّةِ الكفر كلهم ‌‌ ‌ ‌ ودانُوا لأَحْكام الإلهِ اللوازِم
١٢٧– به صَحَّ تَفْسيرُ المنامِ الذى أَتَى ‌ ‌ ‌ ‌ به دانيال قبله خَتْم خاتم
١٢٨– وسِنْدٌ وهِنْد أَسْلَمُوا وتدينُّوا ‌ ‌ ‌ ‌ بدينِ الهدى رفض لدين الأعاجم
١٢٩– وشقَّ لنا بدرُ السماوات آيــةً ‌ ‌ ‌ ‌ وأَشْبَعَ مِنْ صَاعٍ له كل طاعِم
١٣٠– وسالتْ عُيونُ الماء فى بسط كفه ‌ ‌ ‌ ‌ فأَرْوَى به جيشاً كثير القماقم
١٣١– وجاء بما تَقْضى العقولُ بصدقــه ‌ ‌ ‌ ‌ ولا كدعاوٍ غير ذات قوائــم
١٣٢– عليه سلامُ الله ما ذَرَّ شَارِقٌ ‌ ‌ ‌ ‌ يعاقبه ظلماء أسحم عاتم
١٣٣– براهينُه كالشمسِ لا مثل قَولكم ‌ ‌ ‌ ‌ وتخليطكم فى جوهَرٍ وأَقَانِم
١٣٤– لنا كل علم من قديــمٍ ومحدَثٍ ‌ ‌ ‌ ‌ وأَنتم حمير داميات المحَازِم
١٣٥– أتيْتُمْ بشعر باردٍ متخاذِل ‌ ‌ ‌ ‌ ضعيفِ معانى النظمِ جَمِّ البلاغم
١٣٦– فدونكها كالعقدِ فيه زمُرُّدٌ ‌ ‌ ‌ ‌ ودُرٌّ وياقوتٌ بإحْكَامِ حَاكِم

رضى الله عن قائلها وأثابه الجنة بمنه ورحمته إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١٢٨) فى (د) : وهند وسند ... رفض لدين الأعاجم .
وفى (ط) : فى رقص دير (وهى غير واضحة بالأصل) .
(١٣٢) فى (د) : ما ذر . والشطر الثانى :

تعقبه ظلماء أسحم قاتم .
تعاقبه ظلماء أو سحم عاتم

أقول : وعدة هذه الفريدة (١٣٢) بيتا فى « البداية والنهاية » لابن كثير (١١/٢٤٧ – ٢٥٢) .

وقال رضى الله عنه إذ أكثر الناس فى عذله وتأنيبه :

١ - قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت ... أقوالهم وأقاويل العداء محن
٢ - هل عيبهم لى غير أن لا ... أقول بالرأى إذ فى رأيهم فتن
٣ - وأننى مولع بالنص لست إلى ... سواه أنحو ولا فى نصره أهـن
٤ - لا أنثنى نحو آراء يقال بها ... فى الدين بل حسبى القرآن والسنن
٥ - يابرد ذا القول فى قلبى وفى كبدى ... ويا سرورى به لو أنهم فطنوا
٦ - دعهم يعضوا على صم الحصى كمدا ... من مات من قوله عندى له كفن
٧ - إنى لأعجب منْ شأنى وشأنهم ... واحسرتا إننى بالناس ممتحن
٨ - ما إن قصدت لأمر قط أطلبه ... إلا وطارت به الأظعان والسفن
٩ - أمَا لهم شغلٌ عَنِّى فيشغلهم ... أو كلهم فِيَّ مشغول ومرتهن
١٠ - كأن فكرى شيخ به أمروا ... فليس يغفل عنى منهم لسن
١١ - إن غبت عن لحظهم ماجوا بغيظهم ... حتى إذا ما رأونى طالعا سكنوا
١٢ - دعوا الفضول للبيان لكى ... يدرى مقيم على الحسنى ومغتبن
١٣ - وحسبى الله فى بدء وفى عقب ... بذكره تدفع الغارات والإحن

* * * * *

وقال رحمه الله فى مدح كتب الحديث والحث على طلبه :

١ - أنائم أنت عن كتب الحديث وما ... أتى عن المصطفى فينا من الدين
٢ - لمسلم والبخارى اللذين هما ... شدا عرى الدين فى بل وتبيين
٣ - أولى بأجر وتعظيم ومحمدة ... من كل قول أتى من رأى سحنون

---

(١) العدا : الأعداء . محن : شدائد ومصائب يبتلى بها .
(٢) أن لا : أنى لا . فتن : فى روايه : أفن .

٤ – هيهات رأى امرىء من وحى خالقنا قياس هذا بذا رأى المجانين
٥ – يامن هدى بهما اجعلنى كمثلهما فى نصر دينك محضا غير مفتون
٦ – لا تقطعن بى رَبَّ العرش دونَهُمَا يوم الحسابِ وفى وضْع الموازين

وقال رضى الله عنه :

١ – أجَلْ هو ربعٌ قد عفتْه الروامسُ فهل أنت فيه –وَيْبَ غيرك– حابِسَ
٢ – لعل له ان إن تحبس العير ساعةً عليه فتبكيك الرسومُ الطوامِسُ
٣ – على أَرْبُعٍ قد كان دهرا بطُولِهِ لِلَهْوِكَ فيه مَرْبَع ومَجَالِسُ
٤ – عسى يسْتجيبُ الدمعُ إذْ أنا سائلٌ وهَلْ ترجعُ اللفظَ الطلولُ الدَّوارِسُ
٥ – فعُجْتُ عليها ناقتى وهى سَبْسَبٌ سَقَتْه وجَادَتْه الغَمامُ الرَّوَاجِسُ
٦ – وقُلْتُ ودَمْعِى سَاكِبٌ متحدرٌ وإنْسان عينى فى هَوَاميه غَامِسُ
٧ – لقد كان عيشى فيك لو دام مُونِقاً ولكن أتتْ ذاكَ الخطُوظُ الأبَاخِسُ
٨ – لَيالىَ مَنْ أهواه يمسى كأنه من العُفْر ظَبْىٌ بالصَّرِيمة كَانِسُ
٩ – وإذ شَمْلُنا بَاقٍ جَميعٌ مجسَّدٌ ولم تَقْتطع ذاك الدهورُ الدهَارِسُ

---

(١) أجل : جواب بمعنى نعم . عفته : محت معالمه . الروامس : الرياح .
ويب : فى الأصل : (ويب) ، وهى كلمة مثل ويل ، قال الكسائى : من العرب من يقول : ويبك وويب غيرك .
(٢) لعل : فى (ط) : لقل . والرسوم الطومسي : آثار الديار التى محيت معالمها .
(٣) الأربع : جمع ربع ، وهو المنزل ، وأهله ، والعدد الكثير .
(٤) الطلول الدوارسى : الآثار التى محيت .
(٥) فعجت : عطفت وملت نحوها . والسبسب : هى الأرض القفر البعيدة . الرواجس : الراعدة رعدا شديدا .
(٦) غامس : بمعنى مغموس ، أى : غطاه الدمع الهامى .
(٧) الأباخس : المنقوصة .
(٨) الأعفر من الظباء : ما تعلو بياضه حمرة ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض ، والعَفَر : التراب . والكانس : الذى دخل فى كناسه ، لأنه يكنس الرمل .
(٩) الدهارس : الدواهى .

١٠ – فكان جوابُ الربْعِ إذْ أنا سائل وهل تَفْهم القولَ الربُوعُ الأخَارِسُ
١١ – كذلك حكمُ الدهر آتٍ وذاهبٌ وفى الدهر أصنافٌ مدُوسٌ ودَائِسُ
١٢ – فعرجت عنه موجَع القلب ثاكِلاً وبين الحشا لذع من الحزْن نَاخِسُ
١٣ – وفى طَىِّ مَثْنِىِّ الصفيح على الثَّرى سَنَى سِنِّه للشَّكْلِ والحُسْنِ لابِسُ
١٤ – غريبُ صفات الحسن إن يمنع حسنُه فأمنَعُ معدُومٍ هُنَاكَ المجانِسُ
١٥ – إذا حُدَّ لم تحو الحدودُ جهاتِه وإنْ قِيسَ يوما ضَلَّ فيه المقايس
١٦ – فَدَيْنَاهُ من ظَبْى يلوحُ ضِيَاؤُه على مثله حقًّا أصابَ المنافِسُ
١٧ – عَجِبت لدهْرٍ لَانِىٍ وهو طَالبى بثأرٍ ولا ينْفَكُّ دَأْباً يمارسُ
١٨ – إذا ما اصْطَرَعْنَا فالتداوُل بَيْنَنَا عِراكٌ فمنهوسٌ هُنَاكَ وَنَاهِسُ
١٩ – فتسعٌ وعشرون أتيحتْ سِهَامُها لِرأْسى فعَضَّتْ فيه فالرأس هَارِسُ
٢٠ – كأنَّ بياضَ الرأس ينعى سوادَه صَبَاحٌ تَعَرَّى عنه لَيْلٌ عُكَامِسُ

---

(١٢) هذا البيت ليس فى (ط) .
(١٣) (سى سن) هكذا فى الأصل .
(١٤) (إن يمنع) : فى الأصل : (منع) ، وفى (ط) : تبيع . ولعل الصواب ما أثبتنا . والمجانس : المشابه .
(١٥) المقايس : من قاسه على غيره : قدره على مثاله . والمقدار مقياس .
(١٧) لا ينى : لا يتمهل .
(١٨) منهوس : اسم مفعول من نَهِسَ اللحمَ – كمَنَع وسَمِع – : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه . والمنهوس أيضا : القَليل اللحم من الرجال .
(١٩) هارس : الهرس : الدق الشديد العنيف .
(٢٠) ليل عكاس : مظلم ، وعكمس الليل : أظلم . فى (ط) : تفرى ، وهى فى (الأصل) : (تعرى) وهو المناسب للسياق . وصباح : فى (الهامش) وهى فى (الأصل) : بياض .

٢١ – فأهلًا بوفْدِ الشيبِ إذ جاء وافدا وكُنْتُ وقَلْبى قبل ذَا مِنْه واجسُ

٢٢ – ولما أُتَى ردت نفوسٌ بغيظها ولم تنْبسط نحوى اللِّحاظُ النَّواعسُ

٢٣ – ولم أَرَ مثل الشيب أَوْفَى زينة ليذعرَ عقيانَ النهارِ المؤانسُ

٢٤ – وكنا نجوما طالعات مضيئة تُنيرُ بأدناها الخطوبُ الحنادِسُ

٢٥ – لقد كان لى فى بعض ذلك واعظ وما اختلستنيه الصروفُ الخوالِسُ

٢٦ – تَنَأَّيْن عَنّى كالغصون وأعرضت ضواحك أقمار وهن عوابس

٢٧ – وقد طال ما ارتاحت وهزت غصونها لقربى أحقافُ الرمالِ الأواعِسُ

٢٨ – ظباءٌ إذا قيس الظباءُ بحسنها فإن يَعافير الظباءِ خنافسُ

---

(٢١) واجس : فزع ، والواجس : الهاجس ، والوجس : الفزع يقع فى القلب أو السمع من صوت أو غيره .

(٢٢) النعاس بالضم : الوسن . واللِّحاظ : مؤخر العين مما يلى الصدغ ، والجمع : لحظ ، مصدر لاحظته إذا راعيته .

(٢٣) هذا البيت فى الأصل هكذا :

ولم أر مثل الشيب أو فى رنية ليدعر مصبات النهار الموانس

وضبطه فى (ط) هكذا :

ولم أر مثل الشيب أو فى وفيه ليذعر عقبان النهار المؤانس

ومعناه غير واضح . وأرى أن الشطر الثانى من الممكن أن يكون هكذا :

ليدعوه عقيان النهار الموائس .

والمعنى : يسميه ذهب النهار الفتيات المائسات .

(٢٤) الحنادس : المظلمات .

(٢٥) اختلسته : سلبته . والصروف : الدواهى .

(٢٦) تنأين : بعدن .

(٢٧) الأحقاف : الرمال المجتمعة . والأواعس : الرمال السهلة التى يصعب فيها المشى .

(٢٨) يعافير الظباء : الظباء التى يعلو بياضها حمرة .

٢٩ – زمانٌ يسودُ المرء فيه بحقه ... ولا كزمان سادَ فيه الفلافس

٣٠ – زعيمون أن يقضى لنا دون غيرنا ... إذا ازدحمت عند الملوك القلانسُ

٣١ – سمونا فما فى دهرنا غير حاسد ... وطلنا فلم يُدْرَكْ فم ثم نابِسُ

٣٢ – إذا ما تُراميني مفاخرُ معْشَرٍ ... فأَيْسَرُ فخرى للمفاخِرِ هَارِس

٣٣ – وإنِّى بعرضى دون دينى مُتَّقٍ ... وإنى بروحى دون عرضى مُتَارِسُ

٣٤ – سما لِى ساسانٌ ودَارًا وبعدهم ... قريشُ العلى أعْياصُها والعنابِسُ

٣٥ – فما أخرتْ حربٌ مراتبَ سُؤْدَدِى ... ولا قَعدَتْ بى عن ذُرَى المجدِ فارِسُ

٣٦ – هنالك مجدُ الدهرِ طالتْ فروعُه ... فهن مواضٍ صُعَّدٌ لا نواكس

٣٧ – مَلكْنَا مُلُوكَ الأرضِ فى كُلِّ جانبٍ ... فَحدُّ مُنَاوِينَا الحدودُ الأَوَاكِسُ

٣٨ – إذَا شَبَّتْ الحربُ العَوانُ فبأْسُنَا ... لِكُلِّ منيعِ النَّيْلِ فى الناس فارِسُ

---

(٢٩) هذا البيت ليس فى (ط) .
الفلافس : ليس لها أصل . ولعلها : الفلاحس : جمع فلحس ، وهو الرجل الحريص .

(٣٠) زعيمون : جديرون . القلانس : جمع قلنسوة ، وهى ما يلبس فى الرأس .

(٣١) طلنا : قدرنا . نابس : متحدث .
والرواية فى الأصل : (فماً) ، وضبطها فى (ط) : (ندك فما) .

(٣٢) هارس : من الهرس وهو الدق ، يقصد أنه غالب .

(٣٣) متارس : مدافع ، من تترس بالشىء : استتر به .

(٣٤) سما لِى : فى بعض المراجع : (أَبِى) . ساسان ودارا : جيلان من الناس بديار الفرس . والأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . والعيص : الأصل . والعنابس من قريش : أولاد أمية ابن عبد شمس الستة : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو . والعنبس : الأسد .

(٣٥) السؤدد : الشرف .

(٣٦) نواكس : مطأطىء الرؤوس .

(٣٧) المناوىء : المعادى . والأواكس : النواقص .

(٣٨) الحرب العوان : الشديدة .

٣٩ – أَبَاحُوا بيوتَ النارِ كُلَّ ذخيرة حَمَتْها شياطينُ الرَّدَى والأبَالِسُ
٤٠ – فلما أَتَى الإسلامُ بالحق والهُدَى أَقَرُّوا لِنُورِ حَوَّلَتْه الأحامِسُ
٤١ – فشُدَّتْ عُرَى الإسْلامِ فيهم وعُطِّلَتْ بأَسْيَافهم للمشركين مدارِسُ
٤٢ – وأُعْلِن دينَ اللهِ فى الأرضِ بأسُهم وذُلَّتْ بهم للمسلمين الكنائِسُ
٤٣ – فسائِلْ بسلمانَ وبالحسنِ الرضى زُرَاراً وفَيْروزَ هداةٌ أشاوِسُ

---

(٣٩) الذخيرة : ما ادخر لنفاسته .

(٤٠) الأحامس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تبعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم ، أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة لأن حجرها أبيض إلى السواد . والحماسة : الشجاعة .

(٤١) فيهم : ليست فى (ط) .

(٤٣) أشاوس : شجعان أسياد .

عدة هذه القصيدة فى المخطوط المنسوب لابن حزم ثلاثة وأربعون بيتا ، وقد أثبت فى (ط) منها : واحدا وأربعين بيتا ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه : وهو البيت الثانى عشر ، والبيت التاسع والعشرون .

(٦)

وقال رضى الله عنه إذ حبس يتشوق إلى أهله وولده(*) :

١ – مُسَهَّد القلبِ فى خدَّيْه أدمُعُه ... قد طال ما سرقت بالوجْد أضْلُعُه
٢ – وَانِى الهموم بعيد الدار نازحها ... رجعُ الأنين سكيبُ الدمع مصرعه
٣ – يأوى إلى زفراتٍ لو يباشُرها ... قاسى الحديد فواقاً ذابَ أجمعُه
٤ – إذا تخلَّل فى أرجائِها فرِحــاً ... ظَلَّت قواصِفُها باليأسِ تَقْرَعُه
٥ – وإن ونَتْ لوعةٌ عن كُنْه صولَتِها ... هبت له لوعةٌ رقْشَاءُ تَلْسَعُه
٦ – نامتْ به فى بحارِ الحزْنِ فِكْرتُه ... حتى رمتْه سحيقاً ضَلّ مَرْجِعُه
٧ – كم فكرةٍ دلَّهَتْه فى مسارِحها ... تسقيه سُمًّا نقيعاً بات يجرعُه
٨ – ذِكْرى لفيراخه فى كل ناحية ... تُوحِى إلى القلب أسراراً تُقَطِّعُه
٩ – كم قد تحملَ من أعْباءِ نأْيِهِمُ ... نضُواً نَبا بلذيذِ النَّوم مَضْجَعُه

(*) فى هذه القصيدة يبكى أسره وقيده ، ويرسل السلام إلى من لم يودعه ، ويتوسل بالله ثم يستشفع بأبى هلال ذلك العزيز العالى لدى الخليفة ، ويدعو له أن يعيش عزيزا مدى الأيام .

(١) مسهد : سهران لا ينام . الوجد : الحزن .

(٢) رجع الأنين : كثير البكاء .

(٣) الزفرات : الآهات الحارة من شدة الحزن . فواقا : وقتا من الزمن مقدار ما تحلب ناقة ، أو ما بين الحلبتين .

(٤) تقرعه : تضربه وتصيبه .

(٥) ونت : تأخرت . واللوعة : لذعة الحب . رقشاء : كالحية الرقشاء شديدة اللسع .

(٨) فيراخه : أولاده .

(٩) نضوا : سهما . نبا : فارق مضجعه النوم ، والمراد أنه أصبح هزيلا من الهم والحزن وعدم النوم والتفكير فى أولاده .

١٠ – قد عانَدَ الحزنَ حتى عادَ يرحمُهُ   وساورَ الدمعَ حتى جَفَّ مدمَعُه

١١ – وصار يرحمه مَنْ كان يعذِلُه   لما اصطفاه من الأحوالِ أَشْنَعُه

١٢ – تجولُ حلتُه فى ذاتِه فترى   أثارَ ما الدهر بالأحرارِ يَصْنَعُه

١٣ – جسم تخونَتْ الأيامُ جثَّته   فعادَ كالشِنِّ مرآه وسمعُــــه

١٤ – تناهبتْ نُوَبُ الدنيا محاسنَه   فالضيْم مَلْبَسُــه والسِّجْنَ موضِعُه

١٥ – يشكُو إلى القيدِ ما يلْقَاهُ من أَلَمٍ   فيالا بين لَدَى شَكْواهُ يُرْجِعُه

١٦ – ياهاجِعاً والرزَايَا لا تؤرِّقُه   قُلْ كيفَ يهْجَعُ مَنْ فى الكَبْلِ مَهْجَعُه

١٧ – أَمْ كيفَ حالةُ حيٍّ ساكنٍ جَدَثاً   يَرْنُو بعينِ أسيرٍ عَزَّ مطمَعُه

١٨ – قد طال فى هاويات السِّجْنِ محبَسُه   وانْشَتَّ من شمله ما كان يجمعه

١٩ – فكم زفيرٍ يقُدُّ الصخرَ أيْسَرُه   وكم أنينٍ بنارِ الوجْدِ يَسْفَعُه

٢٠ – ما رَجَّعَتْ سجْعَها حيناً مطوقةٌ   إلا ومن فَضْلِ شَجْوِى ما تُرَجِّعُه

٢١ – ولا تجرع كأسَ الوجدِ من أحدٍ   إلا ومن فَضْلِ وَجْدِى ما تجرَّعَهُ

---

(١٠) ساور الدمع : غالبه .

(١١) يعذله : يلومه .

(١٢) تجول حلته فى ذاته : كناية عن نحافته ونحول جسمه . فالهم يخترم الجسيم نحافة ، ويشيب ناصية الغلام فيهرم .

(١٣) تخونت : تنقصت منه بتأثيرها فيه . والشن : الثوب البالى .

(١٤) نوب الدنيا : أحداثها ومصائبها . والضيم : الذل .

(١٦) الهاجع : النائم . تؤرقه : توقظه . الكبل : القيد .

(١٧) جدثا : قبرا . يرنو : ينتظر . عز : بُعد .

(١٨) وانشت : تفرق .

(١٩) الزفير : النفس الحار ، يخرج عن اشتداد الهم والحزن . يسفعه : يضربه بوجهه ، وهو اللفح اليسير .

(٢٠) المطوقة : الحمامة ، والترجيع : صوتها المرجع . والشجو : الحزن .

(٢١) تجرع : شرب . والوجد : الحزن .

٢٢ – يا راحِلاً عندَ حَيٍّ عندَه رَمَقِي		اقْرا السلامَ على مَنْ لمْ أودِّعُه
٢٣ – وسَلْهُ باللهِ عن عَهْدِى أيَحْفَظُه		فَعَهْدُه بمكانٍ لا أُضَيِّعُه
٢٤ – وكيف يهنى ، ومَنْ أمْسى يُصبِّرُه		أمْ كَيْفَ بَعْدَ بعَادِى عَنْه أربُعُه
٢٥ – تجهَّمتْ نُوبُ الدنيا لعامِرِها		فلا يَدٌّ عن يَدِ الضراءِ تمنعُه
٢٦ – وَاطولَ شَوْقَاهُ ما جَدَّ البُعادُ بِهم		إليهمُ مُذْ سَعَوْا للبيْنِ أقْمَعُه
٢٧ – لئن تباعد جُثْمانى فلم أرَهُمْ		فعنْدَهُمْ – وأَبيكَ – القلبُ أجْمَعُه
٢٨ – أقولُ والدهرُ قد غالتْ غوائِلُه		وحَطَّ مِنِّى مكاناً كانَ يرفَعُه
٢٩ – عَسَى لطائِفُ مَنْ لا شَىءَ يُعْجزُه		تَحْنُو على شَمْلِنَا يوما فتَجْمَعُه
٣٠ – بِمبتَنِى المجدِ مُذْ حُلَّتْ تمائِمهُ		بحيثُ لا نُوَبُ الدنْيا تُضَعْضِعُه
٣١ – بحيث يشتجر الخَطِّىّ فى صَفَـدِ		ويَفْطِمُ السيفُ ذا بَأْسٍ ويُرضِعُه
٣٢ – بالحاجبِ المرتجِى السامِى أُرومَتُه		أبِى هلالٍ الذى بالسَّعْدِ مَطْلَعُه

---

(٢٢) الرمق : بقية الحياة .

(٢٤) الشطر الأول هكذا : (وكيف سحينى وعن أنسى تصبره) : وهو غير واضح . والأربع : الديار .

(٢٥) تجهمت : عبست وكلحت .

(٢٦) واطول شوقاه : ما أطول شوق إليهم . وهذا أسلوب يسمى فى علم النحو : الندبة وهى نداء فيه : (وا) .

(٢٧) وأبيك : قسم معترض به بين الخبر والمبتدأ .

(٢٨) غوائل الدهر : دواهيه وأحداثه .

(٢٩) المراد : الرجاء فى لطف الله فهو قادر على جمع شملنا فليس يعجزه شىء .

(٣١) الخطى : نوع من أنواع الرماح تسمى الرماح الخطية . والصفد : ما يوثق به الأسير .

(٣٢) أرومته : أصله .

٣٣ - سَما إلى غاية فى المجد ساميــةٍ فنَالَ غَايَةَ ما قدْ كَانَ يَزْمَعُه
٣٤ - فأصبحتْ قُلَلُ السَّامين خاضعــةً لِعزِّه وسماءُ المجد مَوْضِعَه
٣٥ - وارتاحَ للعُرْف والحاجاتِ يُسْألُّها فغص بالوفد والآمـال مَصْنَعُه
٣٦ - نِعْمَ الشَّفِيعُ لمن ضاقَتْ مذاهبُــه لدى الخليفةِ أسْمَى مَنْ يُشَفِّعُه
٣٧ - وَكُلُّ زارعِ خيرٍ عند مضطهِدٍ فَسَوْفَ يحصدُ ما قد كانَ يَزْرَعُه
٣٨ - فَعِشْ عزيزاً على الأيام محتكما مَا هَزَّ ذَيْلُ الصِّبَا غُصْناً يزعْزِعُه

---

(٣٣) يزمعه : يقصده مجمعا عليه .
(٣٤) قلل : قمم ، وقلة الجبل : أعلاه .
(٣٥) يُسْألها : تطلب منه .

(٧)

قال رضى الله عنه يخاطب أبا المطرف(*) : **(الطويل)**

١ - أخٌ لى مشْكُورُ المسَاعِى وسَيِّـدٌ تَسُرُّ بوادِيه إذا ساءَك الصَّحْبُ
٢ - أَلَمَّ يُجَالِينِى جَلَاءَ مُجَرِّبٍ على أَنَّه حقًّا لِى العالِمُ الطَّبُّ
٣ - يُطَالِعُ فى سُبُلِ البلاغةِ مَذْهبى وهَلْ يَسْتَوِى منها لى الحَزْنُ والسَّهْبُ
٤ - وكيف أنا فيها إذا ما تشعَّبتْ وضاقَ على طُلَّابها المنهجُ الرحْبُ
٥ - فلحت له خِرِّيتَ غَفْل ومَجْهلٍ يضَلّ لديه النجمُ والقَشَمُ النكْبُ
٦ - فياأيها القاضى المبجل والذى مواردُه من سرى الباردِ والعذبُ

(*) أبو المطرف هذا هو عبد الرحمن بن أحمد بن بشير قاضى الجماعة فى قرطبة ، ويكنى أبا المطرف ، ويعرف بابن الحصار ، كانت بينه وبين ابن حزم صداقة ، وتدوولت بينهما الرسائل ، ولاه على بن حميد القضاء سنة ٤٠٧ هـ ، فبقى فيه إلى آخر سنة ٤١٩ هـ ، وكان ماهرا بالحكومة ، مع حلاوة اللفظ وحسن الخط ، وعابه ابن حبان مؤرخ الأندلس بالشعوبية وبقعوده عن الرحلة إلى المشرق . توفى سنة ٤٢٢ هـ . ترجم له : الحميدى فى : (جذوة المقتبس ٥٨٨) ، وابن بشكوال فى (الصلة ٣١٩ ، ٣٢١) وغيرهما .

وقال الضبى فى (البغية) : وهو الذى خاطبه أبو محمد بالقصيدة البائية التى يفخر فيها بنفسه وعلومه (٣٥٩) .

(١) بواديه : ظواهره .

(٢) يجالينى : يكشف ما عندى ويظهره . الطب : الماهر الحاذق .

(٣) الحزن : الصعب الشاق . السَّهب : المستوى السهل ، وهو بالفتح . وهل هنا بمعنى : كيف .

(٤) الرحب : الواسع .

(٥) لحت : ظهرت . والخريت : العالم بالشىء ، ودليل الصحراء . والغفل : الأرض الخالية من الأعلام . والقشم النكب : الرياح الشديدة .

(٦) المبجل : المعظم .

٧ – ومَنْ دانَ أربابُ العلوم بأسْرِهم   له بصريح الرق وهو لهم رَبُّ
٨ – أعِيذُك أنْ تَرْتَابَ أنّنى الذى   أتى سابِقاً والكُلّ ينجرُّ أوْ يَحْبُو
٩ – ومثلى إذا جَدَّ الرجالُ وأُتْعبوا   نفوسَهم سَعْيا وكَدَّهم الخَطْبُ
١٠ – تقدم سَبْقا ثانيا مِنْ عَنَانِه   وغَادرَ مَنْ جَارَاه فى رَهْجه يكبو
١١ – أمِثْلُكَ يعْشُو عن مكانى ويمْتَرِى   بأنِّىَ من أفْلاكِ ذَا الأدبِ القطبُ
١٢ – أيخفَى عليكَ البدرُ لَيْلَةَ تَمِّهِ   ولم يستتر عنك النيازكُ والشهب
١٣ – وأنت الذى يلقى الخفياتِ ظاهراً   بعينِ نُهىً لم تُرْجَ مِنْ دُونِها الحُجْبُ
١٤ – فكيف بما وَازَى الجهولَ تَمكُّناً   ذَوو العلمِ فيهِ واستوى السُّودُ والصُّهْبُ
١٥ – وحَاشَاىَ أن يمتد زَهْوٌ بمنطقى   وأن يستفز الحلْمَ فى قولى العجبُ
١٦ – ولكنَّ لى فى يوسفَ خيرَ أسوةٍ   وليس على مَنْ بالنبى ائْتَسَى ذَنْبُ
١٧ – يقولُ – وقال الحقَّ والصدق – إنَّنى   حفيظٌ عليمٌ – ما على صادق عَتْبُ
١٨ – فلو كُسِىَ الفولاذُ حِدَّةَ خاطِرِى   تساوَى لَدَيْه اللَّحْمُ والحجرُ والصُّلْبُ

---

(٧) أرباب العلوم : العلماء فهم أصحابها .

(٨) ترتاب : تشك . ينجر : يسحب على وجهه . يحبو : يمشى مقيدا ، وذلك كناية عن تأخرهم عنه .

(٩) كدهم : أتعبهم .

(١٠) العنان : لجام الفرس . جاراه : سابقه . يكبو : يتعثر . والرهج : غبار الطريق .

(١١) يعشو : يعمى . القطب : سيد القوم ، وملاك الشىء ومداره .

(١٣) نهى : عقل . الصهب : حمرة أو شقرة فى الشعر .

(١٥) حاشاى : استثناء ، أى أبرأ وأعاذ أن أزهو أو أكون معجبا .

(١٧) يقول : أى يوسف ، وهذا اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ **قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم** ﴾ . والعتب : العتاب .

(١٨) الفولاذ : الحديد الصلب .

١٩ – ولو كان للنيران بعضُ ذكائِه — وفاضَتْ عليه لجةُ البحر لم تَخْبُ
٢٠ – وما اختص علمٌ دُونَ عِلْمٍ بوجْهتى — بل مَسْرحى فى كلها الواسعُ الخِصْبُ
٢١ – تَظَلُّ فُنونُ العِلْمِ تجْلَى إذا غَدَتْ — بأَيْدِى رجالٍ وهى مَنْجولةٌ عُضْبُ
٢٢ – وما عَزَّنى والحمد لله مَطْلَبٌ — من العلمِ مِمَّا أبقَتْ العُجْمُ والعُرْبُ
٢٣ – حليفى ومُحْيِى همتى ومنيِّرُها — ورافعُ ذكرى حيثما اتصل الركبُ
٢٤ – وأُنْسِيَ مذ خمس وعشرين حجة — أروح وأغدو وهى صارمى العَضْبُ
٢٥ – وخطّتى العُلْيا التى لست أتقى — حياتى منها العزلُ مارتع الضَّبُّ
٢٦ – ومالٌ عميم لستُ أخشى نفادَه — بإنفاقِه ، لا بلْ يزيد ويَنْصَبُ
٢٧ – سموتُ بِنَفْسى لا بمجدٍ هوتْ به — من الزمن العداء آلاته الحُدْب
٢٨ – على أنه لو شئتُ قلت مصدقا — وأقبحُ قَوْلٍ ما أَلَمَّ به الكِذْب

---

(١٩) ذكائه : أى توقد خاطره بالفكر الذكية . لم تخب : لم تطفأ . فى (ط) : يخب والضمير يعود على النيران ، فالسياق يقتضى : (عليها) لأن الحديث عن النيران .

(٢١) تجلى : تظهر وتبين . غدت : أصبحت . منجولة أو منحولة ، والمعنى : واضحة بينة أو معطاة ممنوحة . وعصب أو عُضب ، والمعنى : متقنة محكمة أو قوية حديدية .

(٢٢) عزنى : غلبنى .

(٢٣) حليفى : أى العلم هو حليفى .

(٢٤) صارمى العضب : سيفى القاطع .

(٢٥) العزل : الانفراد والتوحد . وقوله : (مارتع الضب) : أى ما بقيت حياة .

(٢٦) ينصب : يكثر ويدوم .

(٢٧) الحدب : المعوجة .

(٢٩) رغا : بكى وصوت . السقب : القرب ، وأبياتهم متساقبة : متقاربة ، والسقب : عمود الخباء ولعله المراد هنا ، فالمعنى : من لم يشدها قوية ضعفت بضعف عمودها فسقطت ، فبكى لسقوطها .

(٣٠) نقابا : بحاثا علامة ، والنقب : الثقب ، والمراد : أنه بحاثة عن الأخبار بصير بها .

٢٩ – ولكنه من لم يُشِدْ ما حَلا له		رغًا فى مبانيه وضعْضَعها السَّقْبُ
٣٠ – فإنْ شئت فى علم الديانة تَلْقَنى		نقابا له لم يخف عنى له نَقْبُ
٣١ – وأما أُفَانينُ الحديثِ فإنَّنى		أنا بحرُها الطَّامِى وينْبُوعُها السَّكْبُ
٣٢ – وَقيَّدْت من فُتْيَا ذَوِى الفِقْهِ ضَابِطاً		بحفظى ما طالت به قبلها الحُقْب
٣٣ – وإنْ لاذَ طلَّابُ الكلام بجانبى		فإنِّى ساقيهم وكلُّهم شَرْبُ
٣٤ – وعلْمِى بما فى سِرِّ خَصْمى كعلمه		فما غابَ عَنِّى سهلٌ ولا صَعْبُ
٣٥ – وإن تذكَر الأشعارُ لم يك خارجاً		أمامى جرير فى الدهان ولا كعب
٣٦ – وما ضرَّ شِعرى أن «مَنُوشَهْر» والدى		ولم يحظ أبى عُلْيَا تَميم ولا كَلْبُ
٣٧ – وَإمَّا تسائل باللغاتِ ونحوها		فما صارمى فيها إذا عددت ينبو
٣٨ – وما إنَّ شأنى عند ذلك سابق		على أُننى لم يغرنى التَّعْبُ والوَطْبُ
٣٩ – وحسبك بى فى ذى الأعاريض مَقْنَعا		إذا عُدتْ الأوتادُ والشَّطْر والضَّرْبُ
٤٠ – وإن شئتَ أخبارَ الدهور فإننى		أنا جامعُ التاريخ مذ نبتَ الهُضْبُ
٤١ – فما غاب عنى أمرُ مَلكٍ وسُوْقة		ولا شذَّ دُونى أمرُ سِلْم ولا حَرْبُ
٤٢ – سواء على ذِكْرى قريبٌ ونازحٌ		ومن حملتْ أرضٌ ومن ضمه التُّربُ
٤٣ – وإن تذكر الأنساب كنت نقيبَها		ولم يخف عن ذكراى حَى ولا شِعْب

---

(٣١) الطامى : كثير الماء . والسكب : المدرار .
(٣٥) يقصد : جرير بن عطية الخطفى الشاعر المشهور ، وكعب بن زهير .
(٣٦) يقصد بذكر (منوشهر) : أن له نسبا بفارس .
(٣٧) ينبو : أى لم يصب وجاوز الضريبة .
(٣٨) الوطب : سقاء اللبن ، والرجل الجافى ، والثدى العظيم .
(٣٩) فى (ط) : مقنعا ، وفى (س) : ممنعا . والصواب الأول .
(٤٠) الهضب : الجبل ، والمراد : مذ وجدت الدنيا .
(٤٣) النقيب : سيد القوم .

٤٤ – ولو أن «رسطاليس» حي بَرَزْتُه وما عاشَ إلا وهو لى بالحرى تِرْبُ
٤٥ – يسافر علمي حيث سافرتُ ظاعِناً ويصحبُنى حيثُ استقلَّتْ بى الركْبُ
٤٦ – محلته صدْرِى ومسكن عمره بحيث التقى منى الترائبُ والتِّربُ
٤٧ – إذا ماالجُنوبُ استوطأتْ فى ضجاعِها فعنه نَبَا عن مَضْجعى منِّى الجَنبُ
٤٨ – أنا الشمس فى جو العلوم منيرةً ولكنَّ عيبى أن مطلِعِىَ الغرْبُ
٤٩ – ولو أننى فى جانِب الشرق طالعٌ لجدَّ على ما ضاع من ذكرى النَّهْبُ
٥٠ – ولى نحو أكنافِ العراق صبابة ولا غَرْوَ أن يستوحشَ الكلِفُ الصَّبُّ
٥١ – فإن يُنْزِلْ الرحمنُ رحلِى بينهم فحينئذٍ يَبْدُو التأسُّفُ والكرْبُ
٥٢ – فكم قائِلٍ أغفلْتُه وهو حاضرٌ وأطلبُ ما عنْه تجيءُ به الكُتْبُ
٥٣ – هنالِك يدْرى أن للبعدِ قصةً وأن كسادَ العلمِ آفتُه القُرْبُ
٥٤ – فيا عجباً مَنْ غاب عنهم تَشَوَّفُوا له ، وَدُنُوّ المرء من دارهم ذَنْبُ
٥٥ – وإن مكاناً ضاق عَنِّى لضيق على أنَّه فِيحٌ مذاهبه سُهْبُ

---

(٤٤) بزرته : علوته وفقته ، وهى فى (س) : بددته . والترب : المثيل ، واللدة ، والسن ، والمقصود هنا : متابعى .
(٤٦) الترائب : عظام الصدر ، والترب : المثل والسن .
(٤٧) يقصد أنه إن نام الناس وارتاحوا لم ينم .
(٤٩) النهب : الغنيمة ، والمعنى : عظمت غنيمة العلم .
(٥٠) أكناف العراق : نواحيه . صبابة : ميل وهوى . لا غرو : لا عجب .
(٥١) الكرب : الحزن يأخذ بالنفس .
(٥٣) يدرى : فى بعض المصادر : (تدرى للعبد غصة) .
(٥٥) فيح : واسع . سهب : سهلة واسعة . وفى (نفح الطيب) : مهامهه (بدل : مذاهبه) .

٥٦ – وإن رجالاً ضيعوني لضُيَّعٌ وإن زَمَاناً لم أنَلْ خِصبَه جَدْبُ
٥٧ – ولو أنني خاطبْتُ في الناسِ جاهِلاً لقيل : دعاوٍ لا يقومُ لها طُنْبُ
٥٨ – ولكنني خَاطَبْتُ أعْلَم مَنْ مَشَى ومَنْ كُلُّ عِلْم فهو فيه لنا حَسْبُ
٥٩ – يصدقُني في وَصْفِه كُلُّ سامِعٍ يَقِيناً ولا يَأْبَى لِسانٌ ولا قَلْبُ

* * * * *

(٥٦) الأبيات من (٤٨ – ٥٦) في نفح الطيب (٨١/٢) ، ومن (٤٨ – ٥٣) في الجذوة والبغية (٣٥٩) ، ومن (٥٠ – ٥٣) في شرح مقامات الحريري للشريشي (٦/٤) .

(٨)

« حديث عن النفس »

وقال رضى الله عنه :

١ - بلغتُ من لذة الدنيا ذُرَى أَرَبِى ... فى لذةِ العَيْشِ والسلْطَانِ والنَشَبِ
٢ - فأذهبتْ دولُ الأيامِ مَنْزلتى ... وزاد فقدِىَ اللذاتِ فى كَرَبِى
٣ - وكان مالى لهذا كُلُّه تبعاً ... بل صار عوناً لأعدائى على طَلَبى
٤ - لكن رجعت وقد جد الزمان إلى ... كنز من العلم والأخلاق والأدَبِ
٥ - فأعجز الدهرَ أن يودى بواحدةٍ ... منها وأقصر عنِّىَ واهى السَّبَبِ
٦ - لا أختشى تضع الأيام منزلتى ... مدى الزمان وعندى أغلَبُ الطَّلَبِ
٧ - لا يستطيعون عَزْلِىَ عن ولايتها ... إذْ كُلُّ والٍ لهم بالعَزْلِ فى العُقُبِ
٨ - هذا بلا كُلْفَةٍ مِنِّى ولا حرسٍ ... ولا عديدٍ ولا إنفاقِ مكتَسَبِ
٩ - وكم أخ لِىَ مُصْفٍ غيرِ مضطرِبِ ... لأن ما فيه آخى غيرُ مُضطَّرِبِ

---

(١) أربى : حاجتى . والنشب : المال .
(٢) كربى : غمى وحزنى .
(٣) كله : توكيد لمالى أو لا سم الإشارة . طلبى : أى النيل منى .
(٥) يودى : يميت ويقضى ، وفى (س) : يؤذى وهو خطأ .
والمراد بواهى السبب : السبب الضعيف ، من إضافة الصفة إلى الموصوف .
(٦) المراد : لا أخاف أن تؤثر الأيام على مكانتى ، لأن عندى أغلب ما يطلب .
(٧) العقب : العاقبة .
(٨) الكلفة : المشقة .
(٩) فى البيت تعليل حسن ، والمراد : لى كثير من الإخوان الأصفياء غير المضطربين فى صداقتهم ، لأن فيهم عهودا موثقة لا تنحل . والآخية : الطنب والحرمة والذمة ، وما تشد إليها الدابة . وبين ألفاظ الشطرين (أخ - آخى) جناس .

١٠ – وكل من كان فى دنياى يَصْحَبُنى نادَيْتُه حين خانَتْنى فلم يُجِبِ

١١ – كلامُ مَنْ جَرَّب الأمرين وانفتحتْ له المذاهبُ من جدٍّ ومن لَعِبِ

١٢ – أنا ابنُ من دَبَّر الدنيا بخاتَمه عشرين عاما وعشر بعد لم يَرِب

١٣ – وإن منزلتى فى العلم منزلةٌ فى الملك خَطٌّ كخَطِّ الصادقِ النَّسَب

١٤ – ما زلتُ أَدْخُره دهرى وأنفقُه كفعله فى اللُّجْيْن المحْضِ والذَّهَبِ

١٥ – وإننى لبخيلٌ بالسلام إذا بخلتُ بالعلم مِنْ لَفْظى ومِنْ كتبى

١٦ – لو استطعت منحتُ الناس كُلَّهم ما قدْ تجمع فى حفُظى وفى كسبى

١٧ – أأبذُل المالَ يُفنى البذلُ حاصلَه ولست أبذُلُ ما ينمى على النّهبِ

١٨ – وكيف أسترُ مُعْلى رُتْبتى أبدا ومن يخلدُ ذِكْرِى آخرَ الحُقُبِ

١٩ – ومَنْ يكثِّرُ أَهْلى ويجعلُنى صديق مَنْ شئتُ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

٢٠ – أنيسُ روحى إذا ما الدهر أوحشَنى ونورُ عقلى وجالى غُمةَ النكَبِ

٢١ – سائل بأىِّ علومِ العالمينَ تَجِدْ عندى ينابيعُ ذاكَ العلمِ مِنْ كتب

٢٢ – لا أنثنى لسوى البرهان أسألُهُ ولا إلى مقالِ الباحثِ اللجِب

٢٣ – لكن إذا أشكلت دنيا مُعَضِّلَةٌ قابلتُها بسَنَا ذِهْنى وحسبُك بى !!

---

(١٤) اللجين : كزبير وزنا : الفضة .

(١٦) كسبى : رزق .

(١٧) ينمى على النهب : أى يزيد العلم كلما أنفق منه . ومن كلام الإمام على كرم الله وجهه : « المال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق » .

(١٨) معلى رتبتى : رافع قدرى ومنزلتى .

(١٩) صديق من شئت : أى كل من علمته فأنت صديقه .

(٢٠) النكب : المصيبة .

(٢٢) أنثنى : أميل . اللجب : كثير الجلبة والصياح .

(٢٣) معضلة : مضيقة شاقة مرهقة . وسناذهنى : ضياء ونور عقلى . وحسبك بى : أنا كافيك ، وفيه إعجاب بنفسه ، وتلك عادته .

٢٤ – من فكرتى لى عينٌ لا تغيضُ ومنْ ماضى لسانى ما يمضى مضى الشُّهب
٢٥ – فإن أضفْتُ إلى ذا الحَظِّ من عملى شيئا أفوز به فى يوم مُنْقَلَب
٢٦ – فقد حصلْتُ على الآمالِ أجمعها وخاب من فى سوى ذا كان ذا تَعب

* * * * *

---

(٢٤) لا تغيض : لا ينفد ماؤها فهى مدرار .
(٢٥) يوم المنقلب : يوم القيامة .

(٩)

وقال رضى الله عنه « فى وصف يوم » : **(الطويل)**

١ – ويومٍ كحدِّ السيفِ ليس بثابتٍ　　عليه جليدٌ لا ولا متجلِّدُ
٢ – لقيتُ شباه وهو جَمرٌ مؤجَّجٌ　　وأقلعتُ عنه وهو فَخرٌ مُخَلَّدُ
٣ – أمورٌ كأمواج البحورِ تَصادمتْ　　عليهن سربالٌ من الليلِ أكْبَدُ
٤ – عبأْتُ له جسراً من الحزم محكماً　　ومصباح رأى نورُه يتوقَّدُ
٥ – فأنقذتُ غرقاها ونورت ليلَها　　وقربتُ منها كلَّ ما كان يَبْعدُ
٦ – سأفْنى فهلْ حى على الأرض خالدٌ　　وينقلُ عن يومى وعن أمسى الغدُ
٧ – أحاديثَ فى جِيدِ الزمانِ نظامُها　　ومنها على الدنيا نِثَارٌ مبدَّدُ

---

(١) ويوم : أى ورب يوم هذا حاله . والجليد : الشديد القوى . والمتجلد : من يظهر ذلك .

(٢) شباه : حده وناره . والجمر المؤجج : الموقد الذى ازداد توقده ، وفى (س) : خمر (بدل : جمر) . فخر مخلد : أى باق ملازم .

(٣) أكبد : شديد شاق .

(٤) عبأت له : تهيأت له وتجهزت بذلك . والحزم : ضبط الأمور وإحكامها .

(٥) فأنقذت غراقاها : فى (ط) : فأفقدت عزهاها ، وفى (س) : فأفقدت غرقاها . ولعل ما أثبتناه أولى بالسياق وأصح معنى .

(٧) أحاديث : إما أن تكون مفعول (ينقل) فى البيت قبله ، وإما أن ترفع على الاستئناف نثار مبدد : موزع مفرق .

٨ – لها غرة فى صفحة الدهر وَسْمُها ... وفى عاتِق الأيّام سيفٌ مُقَلَّد
٩ – وطالبتُ نهجاً ليس يصحبنى به ... من الناسِ إلا الفَاضِلُ المتجلِّدُ
١٠ – فأَخْسِسْ بدينا نلْتُها ومشاركى ... لديها خِساسٌ فى القبائح وُرَّدُ
١١ – وأَنْبِلْ بحالٍ أهلُها كُلُّ راغبٍ ... كِرَامَ المسَاعِى وهو فى الفضْل يزهدُ

* * * *

(٨) وسمها : علمها وشكلها . والعاتق : العنق .

(١٠) أخسس بدنيا : ذم لها على التعجب . ورد : أى كثير والورود للقبايح . وفى (س) : درد ، والمعنى : هم درد ، أى ذهبت أسنانهم لكبر السن ، ومع ذلك لا ينتهون عن القبايح . والراجح الأول ، لذلك اخترناه بدليل مقابلة البيت الثانى لهذا البيت .

(١١) كرام المساعى : بالنصب مفعول (راغب) ، ويجوز الرفع : خبر ثانٍ ، والأول أولى ، حتى لا تطلق الرغبة فتكون ذما . ويزهد : بمعنى يرغب لأن زهد من الأضداد .

(١٠)

وقال رضى الله عنه « فى وصف صديق » : (البسيط)

١ – لم أشك صدًّا ولم أُذْعَرْ بهجران ... ولا شعرتُ مدَى دهْرى بِسُلْوان
٢ – أسماءُ لم أدْرِ معناها ولا خطرت ... يوما علىّ ولا جالتْ بميْدانِى
٣ – لكنّما دائِىَ الأدْوى الذى عَصَفتْ ... علىَّ أرواحُه قِدْماً فأعْيَانِى
٤ – تفرَّقَ لم تزلْ تسرى طوارِقُه ... إلىّ بجامع أحبابِى وخِلّانى
٥ – كأنما البينُ لى يأتمُّ حيث رأى ... لى مذهبا فهو يبْلُونى ويَغْشانى
٦ – قد كنت أحسب عندى للنَّوى جلدا ... إذا عَنَى فى بوادِى شجوها العانِى
٧ – فقابلتْنى بألوان غدوْتُ بها ... مقابَلًا من صبَابَاتى بألْوان
٨ – بالله أُنْسَى أخا لِىَ قد لِهجَتُ به ... نفسى تحدثُنى أن ليس ينسانى
٩ – فإن يكن فيه ظنى صادقاً فلقد ... عهدتُ ظنّى قديما غير خَوَّان
١٠ – هذا على قسمةِ الأيام ليس على ... أنّى أخاف عليه طَبْع نِسْيانِ

---

(١) أذعر : أخوَّف . السلوان : الحزن والنسيان .
(٢) جالت : تحركت .
(٣) الداء الأدوى : المعجز . أرواحه : رياحى . أعيانى : أعجزنى .
(٤) تفرق : فى (ط ، س) : تفرق ، على أنه فعل ، ويجوز أن يكون اسما على أنه خبر : (دائى) فى البيت قبله . والطوارق : جمع طارق ، وهو الآتى ليلا ، والضارب بالحصى .
(٥) البين : البعد والفراق . يبلونى : يختبرنى وينالنى .
(٦) عنى : حبس ، وخضع ، والعانى : الخاضع ، والعبد . الشجو : الهم والحزن .
(٧) صباباتى : يقصد فتوته ولهوه ، والصبوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل .
(٨) لهجت به : أولعت به .

١١ – قد كنت ألقَى زمانى منه مُدَّرعاً   على تَغَوُّلِ أيامى وأزمانى
١٢ – درعاً يقول الردَى من أجْلِها حَذَرًا   ما شأنُك اليوم ياهذا وما شانى؟
١٣ – فالآن أظلمتْ الدنيا لغيبته   فالليلُ عندى وغير الليل سِيَّانِ
١٤ – وحُقَّ لى ذاك إذْ فى كل شارقةٍ   كانت تلُوحُ لعينى منه شمْسان
١٥ – فالآن أعْدَمنى أضواهُما قدرٌ   يرى بأحكامه فينا الجديدان
١٦ – لكننى قائل قولا يحقِّقه   كُلَّ البرية عن نور وبرهــان
١٧ – عجبت منِّى إذا أشكو تَوحُّشَه   وأسفح الدمع سَحًّا غير ضَنَّانِ
١٨ – ووجُهه نُصْبَ عَيْنِى ما يفارقنى   وطيفُه مؤنِسى فى نصفِه الثانى
١٩ – ومهجتى عنده والقلبُ مسكَنُه   هذا وجدُّك عينُ الحاضر الدانى
٢٠ – وشخصه قائلٌ فى ناظرى أبداً   وفى ضميرى إذا ما غِمْنَ أجفانى
٢١ – أدعوه دعوة مرتاح لرؤيته   حسْبَ ارتياحى له إذْ كان يلقانى
٢٢ – ياعذرَ دهرى من ماضى إساءته   ومَنْ تساوَى وَليىٌّ فيه والشَّانى
٢٣ – كلاهما حاسدٌ لى من أُخُوَّتِه   على عُلَا الدهر موصولًا برضوان
٢٤ – قد كان منك فؤادى حاسدا بصرى   والآن يحسد فيك القلبَ عينان

---

(١١) مدرعا : مستتراً به متترسا . والتغول : الاغتيال وهو الإهلاك .
(١٢) الردى : الهلاك .
(١٤) شارقة : شروق . تلوح : تظهر .
(١٥) أضواهما : أشدهما ضوءا ، وفاعل أعدم هو : (قدر) . والجديران : الليل والنهار .
(١٦) قائل : بالرفع خبر (لكن) ، وفى (ط) : قائلا ، وهو خطأ .
(١٧) ضنان : أى شحيح وبخيل بالوصل . وأسفح : فى (ط) : أسفخ .
(٢٢) الشانى : المبغض .
(٢٣) علا : فى (س) : غلا .

٢٥ – حتى لقد صارَ دهرى فيك يحسُدنِى	فبانَ عنى مغلوباً وأنْـآنى
٢٦ – عَذرْتُ فيك لعمرى كُلَّ ذى حَسَدٍ	مَنْ ليس يحسد فى دنيا سليمان !!
٢٧ – وَحُقَّ لى عذرُهم إذا صرتُ أعرفُ	مقْدَارَ الذى منك كان اللهُ أوْلَانِى
٢٨ – لقد حبَانِىَ حظا من إخائك لا	يُجْزَى بستْرٍ ولا يُلْقَى بكفران
٢٩ – لو كانت الأرض حاشاه ما غنيتْ	رُوحى وإنِّى به عن غيره غانى
٣٠ – شخصٌ نفيسٌ خطيرٌ لو بدلْتُ به	نفسى أخذتُ الذى يبقى على الفانى
٣١ – ذاك الذى لستُ أدْرِى ما أقابِلُه	به من الشك فى سرى وإعْلانى
٣٢ – واسلم ودُمْ لِىَ فى عز وفى دَعَةٍ	مالَاحَ فى اللُّجَّة الخضراءِ بَنجْمَانِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وعترته الطاهرة .

* * * *

---

(٢٥) أنآنى : أبعدنى .
(٢٦) دنيا : فى (ط) : الدنيا .
(٢٧) أولانى : أعطانى .
(٢٨) حبانى : منحنى ، وهى فى (ط) : صبانى .
(٢٩) حاشاه : غيره . غانى : أى مكفى به عن غيره فهو حسبى .
(٣٠) نفيس : عزيز كريم .
(٣٢) دعه : راحة وعافية . اللجة الخضراء : السماء ، والمراد طيلة هذه الحياة .

منثورات متفرقة من شعر ابن حزم
(فى بطون الكتب)

(١١)

من ذلك قوله :

١ - أبت عن دنى الوصف ضربة لازب كما أبت الفعلَ الحروفُ الخوافضُ

(من كتاب : أعراف فى الشعر العربى : ٧)

(١٢)

أحرق المعتمد بن عباد والى إشبيلية بعد موت أبيه كتب ابن حزم عندما أثر الفقهاء الحانقين على ابن حزم عليه ، فارتكب هذه الفعلة المنافية للرأى الحر ، واحترام كرامة العقل .

---

(١١) (١) أى كما امتنع دخول حروف الخفض على الفعل امتنعت هى عن دنىء الوصف .

ولكن تلك الحادثة لم تضعف من عزيمة ابن حزم ، بل قابلها بقوله :

١ – فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
٢ – يسير معى حيث استقلت ركائبى وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى
٣ – دعونى من إحراق رمد وكاغد وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
٤ – وإلا فعودوا فى المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

(نفح الطيب ٢/٨٢ – والأول والثالث فى ٣/١٩٢)

(١٣)

ويقول فى رثاء صديقه أبى عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمى المعروف بابن الطبنى :

١ – لئن سترتْك بطونُ اللحـود فوجدى بعدك لا يستتـر
٢ – قصدتُ ديارك قصد المشـوق وللدهر فينا كرور ومـر
٣ – فألفيتها منــك قفرا خـلاء فأسكبت عينى عليك العبـر

(ابن حزم : د. عويس ، عن « المقتبس » : ١٥٤ ، ١٥٩)

---

(١٢) (١) فى رواية : (إن) بدون الفاء . وفى « نفح الطيب » البيت (٣) هو البيت الأول .

(٢) فى رواية :

... حيث ارتحلت وإن أقـــم أقام معى حتى أغيب فى قبرى

(٣) فى رواية :

... من إحراق كتب ودونكـــم حجاج فقيه كى يرى الناس من يدرى

(٤) فى رواية :

ولا تطلبوا من سائر الناس عورة فكم دون ما تبغون لله من ستر

(مقدمة « الفصل » ٦ – ط صبيح) .

(١٤)

وقال فى (رسالة الرد على الهاتف) ، ولم ينسبه لأحد فقرب أن يكون لنفسه :

عوى ليروع البـــدرا   وما كلب وإن نبحـــا

(الرسائل : ١٢٣/٣)

(١٥)

وورد برسالة التوقيف على « شارع النجاة » :

وما هذه الدنيا سوى كر لحظة   يعد بها الماضى وما لم يحن بعد
هى الزمن الموجود ولا شىء غيره   وما مر والآتى عديمان يا دعد

(الرسائل : ١٣٢/٣)

(١٦)

قال أبو محمد العثمانى : أنشدنى أبو نصر سهل بن على النيسابورى الحقوانى قال : أنشدنا أبو الفتح نصر بن الحسن ، أنشدنا العباس العذرى ، قال : أنشدنا أبو محمد ابن حزم الحافظ لنفسه :

ولما رأيتُ الشيب حل مفارق   نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت إلى نفسى فقلت لها انظرى   إلى ما أتى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها   كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل أهله   وجدى لما ندعى إليه وسابقى

(نفح الطيب : ٦٧/٣ . ت د . إحسان عباس)

قال ابن سعيد فى حق ابن حزم ما ملخصه[١] :

« وصله من ابن عمه أبى المغيرة[٢] رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة ، وهى :

سمعت وأطعت لقوله تعالى : ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، وأسلمت[٣] وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام : « **صل من قطعك ، واعف عمن ظلمك** » ، ورضيت بقول الحكماء : **كفاك انتصارا ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه** ، وأقول :

١ - تَتَبَّعْ سواىَ امرأً يبتغى ... سبابك إنَّ هواكَ السبابُ
٢ - فإنى أبيت طلاب السفـــاه ... وصُنْتُ مَحَلِّىَ عما يُعابُ
٣ - وقل ما بدا لك من بعد ذا ... وأَكْثِر فإن سكوتى خطـــاب

وأقول :

---

(١) فى « الذخيرة » و « المغرب » : تبغِّ . وفى « المغرب » وأكثر فإن سكوتى خطاب .

(٢) فى « لسان الميزان » لابن حجر : وكان لابن حزم ابن عم يقال له عبد الوهاب ابن العلاء بن سعيد بن حزم يكنى أبا العلاء ، وكان من الوزراء وبينهما منافسة ومخالفة فوقف على شىء من تواليف أبى محمد فكتب إليه رسالة بليغة يعيب ذلك المؤلف .. قال فكتب أبو محمد له الجواب ونصه .

(٣) فى « اللسان » : وسلمت وانقدت لقول رسول الله ﷺ .

كفانى بذكر الناس لى ومآثرى ... ومالَكَ فيهم يابن عمى ذاكرُ
عدوى وأشياعى كثير كذاك مَنْ ... غدا وهو نفَّاع المساعى وضائر
وإنى وإن آذيتنى وعققتنى ... لمحتمل ما جاءنى منك صابر(١)

(المغرب : ٣٥٦/١ – نفح الطيب : ٧٩/٢ ، ٨٠ ت إحسان عباس . دار صادر بيروت)

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته : قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها أنشدتْنى :

نحنح زيدٌ وسعل ... لما رأى وقع الأسل

فأردت قطعها ، وترك المراجعة عنها ، فقالت لى نفسى : قد عرفت مكانها بالله لاقَطَعَتْها إلا يده ، فأثبت على ظهرها ما يكون سببا إلى صونها ، فقلت :

نَعقت ولم تدر كيفَ الجواب ... وأخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحدك فى حلبة ... نأت عنك فيها الجياد العراب
وبتَّ من الجهل مستنبِحاً ... لغير قرىً فأتتْك الذِئاب
فكيف تبيْنتَ عُقْبى الظلوم ... إذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمركِ ما لى طباعٌ تذَمّ ... ولا شيمةٌ يومَ مَجْدٍ تُعَاب
وأُنيلُ المنى والظُّبَىَ سُخَّط ... وأُعْطى الرضا والعوالى غضاب

وأقول :

(١) الأبيات فى « لسان الميزان » (٢٠١/٤) :

كفانى ذكر الناس لى ولما ترى ... ومالك فيهم يا ابن عمى ذاكر
ومالك فيهم من صديق فتشتفى ... ومالك فيهم من عدو تذاكر
وقولى مسموع له ومصدق ... وقولك منبث مع الريح طائر

وغاصب حق أو بقته المقـــادر يذكرني حاميم والرمح شاجـــر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه ويجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني برغمك ناه منذ عشر وآمـــر
يذل لي الأملاك حُرَّ نفوسهـــا وأركب ظهر النسر والنسر طائر
وأبعث في أهل الزمان شوارداً تلينهم وهي الصعـــاب النوافـــر
فإن أثْوِ في أرض فإني سَائر وإن أنْأ عن قوم فإني حاضـــر
وحسبك أن الأرض عند خاتـــم وأنك في سطح السلامة عاثـــر
ولا لوم عندي في استراحتك التي تنفست عنها والخطوب فواقـــر
فإني للحلف الذي مر حافـــظ وللنزعة الأولى بحاميم ذاكـــر
هنيئـــا لكل ما لديه فإننا عطية من تبلى لديه السرائـــر
(نفح الطيب : ٨٠/٢ ، ٨١)

وأرجح أن تكون هذه الأبيات (لأبي المغيرة ابن عم ابن حزم) فليست فيها روح ابن حزم أبو محمد - والسياق يؤذن بأنها من كلام (أبي المغيرة) .

(١٨)

ولابن حزم أيضا قوله :

لا تلمني لأن سبقـــةَ لحظ فات إدراكُها ذوي الألباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد ويعلو النُّحَـــالُ فوق اللباب
(نفح الطيب : (٨٤/٢ و ١١٨/٤) ، والتكملة : (٨٧٥))

(١٩)

وحكى أن الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد فى يوم غزير المطر والوحل ، شديد الريح ، فلقيه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ، وقال له : ياسيدى ، ومثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم !! فأنشده أبو محمد ابن حزم بديها :

فلو كانت الدنيا دوينك لجـــة   وفى الجو صعق دائم وحريق
لسَهَّـلَ وُدِّى فيك نحوك مَسْلكا   ولم يتعذرْ لى إليك طريق
(نفح الطيب : ٨٣/٢)

(٢٠)

وله أيضـــا :

١ - لا تشتمن حاسدى إن نكبة عرضت   فالدهر ليس على حال بمترك

---

(١) فى « نفخ الطيب » : لا يشتمن . والبيت الثانى :

ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة   طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وفى « الجذوة » :

ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميقعة   وتارة فى ذرى تاج على ملك

وفى « شرح مقامات الحريرى للشريسى » (٢٦٦/٥) :

فالحر كالتبر يلقى تحت منقعة   طورا وطورا يرى تاجا على ملك

٢ - ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميقعة   وتارة قد يرى تاجاً على ملك

(جذوة المقتبس : (٣١٠) ، ومعجم الأدباء : (٢٤٦/١٢) ، ونفح الطيب (٨٢/٢))

(٢١)

ومن شعر أبي محمد ابن حزم :

أنا العلق الذى لا عيب فيه   سوى بلد وأني غير طارى
تقر العـــراق ومن يليهــا   وأهل الأرض إلا أهل دارى
طووا حسدا على أدب وفهـــم   وعلم ما يشـــق له غبـــارى
فمهما طار فى الآفـــاق ذكرى   فما سطح الدخانَ بغير نـارى

(معجم الأدباء : ٢٤٦/١٢)

(٢٢)

ومما أنشده لنفسه :

من عذيرى من أناس جهِلُوا   ثم ظنوا أنهم أهل النظـرْ
وطريق الحق نهج مهيـــع   مثل ما أبصرت فى الأفق القمـــرْ
فهو للإجمـــاع والنص الذى   ليس إلا فى كتاب أو أثر

(الوافى بالوفيات : ٣١١/١) أثناء ترجمة ابن سيد الناس و (غيث الأدب : ٥٥/١) .

وقد نقلناها عن طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى (٢٨٥/٩) .

(٢٣)

وقال الحميدى : أنشدنى أبو محمد على بن أحمد بن حزم :

إن كانت الأبدان بائنـــةً فنفوسُ أهـــلِ الظرف تأتلــفُ

يارُبَّ مُفْتَرِقَيْن قد جمعتْ قلبيْهما الأقلامُ والصحــفُ

الوفيات : (٣/٣٢٧) — ت : د . إحسان عباس)

(٢٤)

وله فى غلام ناحـــل :

وإن غصنا أبدا لا تزول عليه شمس لحـــر بالذبول

(المغرب : ١/٣٥٦)

وله من قصيدة :

منابى من الدنيا علوم أبثها وأنشرها فى كل باد وحاضر

دعاء إلى القرآن والسنن التى تناسى رجال ذكرها فى المحاضر

(البغية ، والصلة (٢/٤١٧) ، وجذوة المقتبس للحميدى (٣١٠))

---

(٢٥) فى « الصلة » : مناى ، و « بالجذوة » : تأسى ، وبهامش « الصلة » تناسى .

(٢٦)

وقال الحميدى : وأنشدنى لنفسه ، وأنا سألته :

أبن وجه قول الحق فى نفس سامع ودعه فنور الحق يسرى ويشرق
سيؤنسه رفقا فينسى نفاره كما نسى القيد الموثق مطلق

(جذوة المقتبس : ٣١٠)

(٢٧)

قال رحمه الله :

كأنك بالزوار لى قد تبادروا وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك وكم أدمع تزرى وخد محدد
عفا الله عنى يوم أرحل ظاعنا عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحد
وأترك ما قد كنت مغتبطا به وألقى الذى آنست منه بمرصد
فواراحتى إن كان زادى مقدما ويانصبى إن كنت لم أتزود

(معجم الأدباء لياقوت ١٢/٢٥٣ ، ٢٥٤)

(٢٨)

وقال رحمه الله يعرض بمذهبه :

١ - وذى عذل فيمن سبانى حسنُه يُطيل ملامى فى الهوى ويقولُ
٢ - أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الحسن أنت قتيلُ
٣ - فقلت له أسرفت فى اللوم ظالما وعندى رد لو أردت طويلُ
٤ - ألم تر أنى ظاهرى وأننى على ما بدا حتى يقوم دليل

(نفح الطيب : (٨٢/٢) و(معجم الأدباء : ٢٤٣/١٢ ، ٢٤٤) و (المغرب : ٣٥٦/١) و (الوفيات : ٣٢٧/٣ (و (شذرات الذهب : ٣٠٠/٣) .

---

(٢٨) (١) ذى عذل : صاحب لوم . سبانى : أسرنى . فى « الشذرات » : وذو ، وبحسنه .

(٢) فى « نفح الطيب » : أمن أجل وجه ، والجسم (يدل : الحسن) ، وعليل (بدل : قتيل) . وفى « معجم الأدباء » : أمن حسن .

(٣) فى « نفح الطيب » : فاتئد (بدل : ظالما) ، فعند (بدل : وعندى) ، ولو أشاء (بدل : لو أردت) . (نفح الطيب : ٨٢/٢) .

(٤) فى « هامش الوفيات » ذكر محققه :ض

« حاشية س : ليست هذه الأبيات لأبى محمد رحمه الله بل لرجل آخر من ذريته . اهـ»

(٢٩)

وقال يصف فجائع الدهر ويذكر المعاد :

١ – هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا فجائعه تبقى ولذاته تفنى
٢ – إذا أمكنت منه مسرة ساعة تولت كمر الطيف واستخلفت حزنا
٣ – إلى تبعات فى المعاد وموقف نود لديه أننا لم نكن كنا
٤ – حصلنا على هم وإثم وحسرة وفات الذى كنا نلذ به عنا
٥ – حنين لما ولى وشغل بما أتى وغم لما يرجى بعيشك لا تهنا
٦ – كأن الذى كنا نسر بكونه إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

(الجذوة : ٣٠٩ ، وبغية الملتمس : ٤١٦ ، ومعجم الأدباء : ٢٤٤/١٢)

* * * *

---

(٢٩) (١) قال الحميدى وغيره : وأنكرنا (بدل : أدركنا) .
(٢) فى معجم الأدباء : فيه (بدل : منه) .
(٤) فى معجم الأدباء : عنا (بدل : منا) .

(٣٠)

وقال فى الإخوانيات :[1]

لئن أصبحت مرتحـلًا بجسمـى فروحى عندكم أبدا مقيـمُ
ولكن للعِيَان لطيفُ معــنى له ســأل المعاينـةَ الكليمُ

(البغية والوفيات : ١٤/٣ ، والجذوة : ٣١٠ ، ونفح الطيب : ٨٢/٢ ، ومعجم الأدباء : ٢٤٦/١٢) .

(٣١)

وفى هذا المعنى يقول أيضا :[2]

يقول أخى شجاك رحيل جسم وروحك ماله عنـا رحيل
فقلت له المعاين مطمــئن لذا طلب المعاينة الخليـل

(بغية الملتمس والجذوة : ٣١٠ ، والمغرب : ٣٥٦/١ ، والوفيات : ١٤/٣) .

---

(٣٠) فى « نفح الطيب » : شخصى (بدل : جسمى) ، وقلبى (بدل : روحى) .
(٣١) فى « المغرب » : لذا سأل (بدل : طلب) . وهذان البيتان ملفقان من أربعة أبيات فى الذخيرة . وهما موجودان بشرح مقامات الحريرى للشريسى (٣٧٧/٥) ، وانظر : شذرات الذهب (٣٠٠/٣) .

(٣٢)

وقال فى الفراق بعد التلاق :

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا وهل يغنى المشوق وقوف ساعة
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع إذا ما شتت البين اجتماعه

(الوفيات لابن خلكان : ٣/١٤ ، شذرات الذهب (٣/٣٠٠ نقلاً عن الحميدى) .

(٣٣)

وقال فى الرد على من زعم أن الأمم تخدم يعقوب وبنيه :

قد حصلت على الصغار يقينا والأمانى بضائع السخفاء

(٣٤)

وقال :

ترجى ربيع أن ستحيا صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

(٣٥)

وقال :

تمن يلذ المستهام بمثله وإن كان لا يغنى فتيلا ولا يجدى
وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا ولكنه غيظ الأسير على القد(*)

(*) الفصل ف الملل والأهواء والنحل (١/١٠٨ ، ١٠٩) ط . صبيح ويظهر أن هذه الأبيات للاستشهاد بها وليست من شعره .

(٣٦)

وقال :

أعجب ما في خالد وجهه   فقس على الغائب بالشاهد

(الفصل ٢/١٢)

(٣٧)

ومما قاله في الأخلاق :

إنما العقل أساس   فوقه الأخلاق سور
فتحل العقل بالعلـ   ـم وإلا فهو بور
جاهل الأشياء أعمى   لا يرى حيث يدور
وتمام العلم بالعدْ   لِ وإلا فهو زور
وتمام العدل بالجو   د وإلا فيجور
وملاك الجود بالنجـ   ـدة والجبن غرور
عف إن كنت غيورا   مازنى قط غيور
وكمال الكل بالتقـ   ـوى وقول الحق نور
ذى أصول الفضل عنها   حدثت بعد النزور

* * * *

(٣٨)

ومما قاله أيضا :

زمـــام جميع الفضـــــا ئل عدل وفهم وجود وباس
فمن هذه ركبت غيرها فمن حـازها فهو فى الناس راس
كذا الراس فيه الأمور التى بإحساسها يكشف الالتباس
(رسائل ابن حزم : ١/٣٨٠)

هذا ما تيسر جمعه من ديوان ابن حزم ،
وشعره المتناثر
فى بطون
الكتب

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحـــات

د . صبحي رشاد عبد الكريم

* * * *

الفهـرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٢٢ / ١٩٩٠

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN